مركز ابداع المعلم

تحت الحصار

كتيب قصصي توثيقي

تحت الحصار

الطبعة الأولى – تشرين أول، 2002

مركز إبداع المعلم

ص. ب. 1948

رام الله

فلسطين

تلفاكس: 02-2959960

www.teachercc.org

tcc@teachercc.org

تنسيق وتحرير وتدقيق: حذيفة سعيد جلامنة

صف: علاء نيروخ/ بلال جحجوح/ إنتصار حمدان

إخراج فني: الأمين للدعاية والتسويق

لوحة الغلاف: للفنان بهاء الدين البخاري

المحتويات

- تلميح 4
- تصدير 5
- مواجهة 9
- مطر... صفعة... رصاصة 11
- حصار 15
- ذاكرة نازفة 25
- حكاية إنسان 29
- انتهى الكلام 39
- معلم تراجيديا 43
- وعاد التشتت 47
- معاناتنا اليومية 57
- بين المطرقة والسندان 63
- جرائم حرب 65
- فلسطين 69
- عقلية اجرامية 71
- وكأنه حلم 73
- هموم غير عادية 77
- اشتقنا ياقدس 81
- صور واقعية لمعاناة معلم 82
- إلى متى 89
- سنحيا 91
- فلتسمع كل الدنيا 93
- حواجز للعزاب 97
- البحث عن طريق 99

تقديم

«من الأزمات تسمو المشاعر النبيلة »، هكذا قالها لي صديقي المهاجر محمود الشولي الذي لم أتوقف عن التفكير في كلماته طيلة لحظات الاجتياح والحصار، تذكرته وقلت في خلجات نفسي إنه الآن على بينة مما يجري، من عدد القتلى وصور الدمار، وتمنيت أن أسمع ما يقول في هذه الأحداث، ونسيت أنه قد يكون على بينة بكل تلك الإحصائيات والأعداد،ولكن بالتأكيد لن يكون على علم وثيق بكل تلك المخاوف، والقلق، والإحساس بالعجز العميق المخيف الذي عايشناه طيلة تلك الأيام الطوال.

وعليه كان لا بد لنا في مركز إبداع المعلم ونحن نعمل في مجال حقوق الإنسان أن نرصد كل جزيئات الانتهاك لهذه الحقوق، وقلنا دعونا نقف عند تلك الأحاسيس النبيلة التي سمت من تلك الأزمات ..... وأخرجنا هذا الكتيب التوثيقي الأدبي لعلنا بذلك نوضح جزءا مما عانيناه.

نشكر كل من ساهم في الكتابة والمساعدة في تجميع المادة الكتابية، نقدم شكرنا لمنسق المشروع حذيفة جلامنة، والزملاء السيدة آمنة الكيلاني وفايق مزيد على الجهود الكبيرة التي ساهمت في إصدار هذا الكتيب.

رفعت صبّاح
المدير العام للمركز

تصدير

عامان مرا على انتفاضة الأقصى، عامان كاملان طويلان، ضاقت خلالهما حدود المكان، واتسعت حدود الزمان فأصبحت اللحظة سيدا يقبض على ناصية الأمور.

عامان لم تتوقف خلالهما مخالب الاحتلال عن النبش تحت شجرة الحقوق الوارفة، هنا أصبحت شجرة الحقوق صفراء ذابلة، وتساقطت أوراق الحق ورقة تلو الأخرى، هنا بدأ الحصار وما زال،وفي مرمى العين امتدت الحواجز حتى وصلت بين الكلمات والشفاه....بين الأنامل والوتر، وبين الجفن والجفن، بين الطلبة وكراساتهم، وسدت درب الخطى الصغيرة إلى المدرسة بأكوام التراب، وعندما داست جنازير الدبابات حدائق البيت الصغيرة، بقيت مساحة قليلة لكنها كافية لنزرع الحب من جديد،وعندما اقتحموا البيوت وعبثوا بالخصوصية، وسرقوا الأشياء،خرجوا دون أن يكتشفوا أننا نزرع القيم في أصائص جميلة على الشرفات.

لم يكن هدفنا في إبداع المعلم ـ عندما راودتنا الفكرة ـ هو إخراج كتيب توثيقي قانوني، فللمؤسسات الحقوقية جهودها في هذا المضمار، لكنه توثيق لمشاعر المعلمات والمعلمين،محاولة لتسليط الضوء على الجانب الإنساني والمعاناة دون ذنب،وما تتعرض له الحقوق من سلب، كان الهدف إبراز مساحة الحصار وثقله فوق الصدر،في الحدقات، في كف اليد، في ذهن طالبة أو طالب،في تأوهات معلمة صلبت لساعات تحت الشمس على حاجز أقيم للذل فقط وليس للأمن.

كان هدفنا ليس الحديث عن كمية المياه الناقصة، وإنما عن هواجس الإحساس بالجفاف،عن خطورة الحالة وليس عن النقص في الأدوية، ليس عن تعطل الدراسة وعدم انتظامها وحسب، بل عن المقاعد الفارغة،

«وهم المعلم وهو في المدرسة أن يعود سالما لبيته،وهمه وهو في البيت أن يصل سالما مبكرا لطلابه» كما قال المعلم وائل فيومي، أو عن مشاعر الهلع أثناء إخلاء مدرسة في ظل قصف الطائرات، والإحساس بالعجز القاتل، كما وصفت المعلمة ربيحة علان، وعن لوحة فايق مزيد التي بقيت رغم تحطيمها تنطق بنفس العبارة «البشرة ألوان والدم لونه واحد»، وعن طموحات المعلم رامي الحداد الذي استيقظ في الخامسة صباحا وهو يستبشر بوصول مدرسته مبكرا، وعن تهشم حلمه عندما وصلها في الحادية عشر.

أردنا أن نقول أن لمعلمينا ومعلماتنا خوفهم، فرحهم، لهم معاناتهم بطعم وشكل خاص،وأن السراب لديهم/ هن لم يصبح سيدا وبقي الكثير غير فعل الاجترار، بقيت الأفكار التي تصلح عنف الاحتلال وآثاره السلبية على الطلبة، أفكار امتلاك كم هائل من مشاعر الحب وقيم كرامة الإنسان وقدرته على العيش والتسامح والتعاون، قيم هي العمود الفقري لكرامة الإنسان، وهل يستطيع الإنسان النضال أصلا دون كرامة؟؟ ودون أن يمتلك كما هائلا من مشاعر الحب ؟؟.

لقد حاولوا قتل هذا بداخلنا بشتى الطرق والوسائل، باجتياح المدن، بالحصار،بالقتل والتدمير والتجريف،وأهم من ذلك اجتياح أعماقنا، وسحق إنسانيتنا، وتدمير قيمنا،ومصادرة مشاعر الحب الموجودة في أفئدتنا،لأنهم يعرفون أن الحب والقيم سلاحنا كشعب مناضل يرزح تحت الاحتلال،لأنهم يعرفون أن معلمينا ومعلماتنا من بين أيديهم يتفجر نبع العطاء، وأن أفكارهم حديقة القيم التي يقطف منها الطلبة ورود الحب والتسامح والتعاون، وكل ما هو إنساني، وأن هذه القيم هي التي تصلح ما تركه عنف الاحتلال في هذه النفسية الصغيرة التي سحقت الدبابات دُماها وحولت أحلامها الجميلة لكوابيس.

وآخر القول لا نهايته، نقول:

من حقنا ومن حق العالم علينا،أن نريه مشاعرا وقلقا،وهواجسا ومخاوفا لا يستطيع رؤيتها عبر شاشات التلفاز، أو عبر تقارير الإحصائيات .

أن نريه كيف انتهكت مشاعر البشر هنا، وسحقت إنسانيتهم،وكيف اغتصبت أحلامهم وخصوصيتهم..... لعلنا نستطيع أن نلملم جراحنا، ونلملم حولنا كل من هو بشر على هذه الأرض.

مركز إبداع المعلم
منسق برنامج التربية المدنية
حذيفة سعيد جلامنة

الجزء الاول

مواجهة

بقامته الفارعة. ووجهه الأسمر. وبشارب كث يضيف إلى نحالة وجهه ملامح العزم ـ إلا أن شرود نظرته ينبئ عن هموم تُكدّر تيار العزيمة الذي يتدفق من خطاه الواسعة السريعة ـ خرج إدريس، الذي يتم السادسة والثلاثين في ذروة تموز، خرج من بيته وقد لمح بعين الرضى زوجته وأبناءه الأربعة وطفلته الصغيرة وساءه أنه لن يتمكن من جلب زجاجة المضاد الحيوي لأبنائه قبل حلول المساء حين عودته من عمله في التعليم الجامع والمجلة.

«آه المجلة، لم يكتمل تحرير العدد الأخير منها، والطباعة مشكلة المشاكل. والهم المالي ذلك العصى الحرون ضيف مقيم تُقبل عليّ أيامه».

شمخ إدريس برأسه. هذه هي ردة فعله الغريزية كلما ضاق به الحال. انتصب جبينه وبدت نظرة الصقر في عينيه السمراوين.

هنا يصل إلى مفترق طريق بيت عينون، حاجز ترابي يسّد مدخل بلدة سعير، وآخر يسدّ في الجهة المقابلة الطريق إلى مدينة الخليل. في وسط الطريق الالتفافي تسد آلات عسكرية ودبابة وجنود حركة

السير باتجاه الشرق والغرب. والطلاب يتركون الحافلات ويتسلقون الحواجز الترابية.

هنا أصيبت غزالة. الطالبة ابنة الأربعة عشر ربيعاً. كانت إصابة الدماغ في رأسها الصغير فادحة. هي لم تمت لأشهر، لازمت الفراش والعلاج تراوح بين الأمل والألم.

وهذا والد الشهيد الطالب يزن «صباح الخير» .«ومن أين الخير؟ يجيب والد الشهيد وهؤلاء كما ترى؟» ويدقق إدريس في مواقع خطاه. هذا عام مطير. ومبكراً في كانون الأول بلغت الأمطار مستوى الري، وكذلك الدماء. هذه سنة حصاد وفير وازداد عدد القتلى على الثلاثمائة. ويصل إلى الطريق ويدق بقدميه الإسفلت، يخلص حذائه مما علق به من طين، يحاذيه على الطريق موظفون وطلاب وأهالي وأمامهم جنود يقفون متراصّين بعضهم ببعض، ومن خلفهم عرباتهم العسكرية يتحفز بها جنود أغرار.

يتقدم إدريس ليقطع الطريق باتجاه الحاجز الترابي المقابل. إنه يرتفع كثيراً عن سابقه لقد جرفوا قطعة الأرض المحاذية. يحاربون من وراء جدر، وعشرات الطلاب والطالبات يتسلقون الحاجز الترابي أمام مدرسة غزالة.

يتوقف الكثيرون أعلى الحاجز يراقبون الجنود. ويتقدم أحد الجنود باتجاه إدريس. ويشمخ إدريس بجبهته عالياً. يخرج الجندي يده من خلف ظهره ويقذف بحجر جبهة إدريس. يتوقف المشهد المتعثر للحظات ويسقط الرجل أرضاً.

الله اكبر، مجرمون، قتلة.«جنود يطلقون النار في الهواء وجنود يطلقون النار باتجاه الحاجز الترابي شرقا وآخرون يضربون على الحاجز غرباً. «الله اكبر... الله اكبر». ويندفع فتية إلى إدريس، وتلاحق سحابات من الغاز الحاضرين وتنهال الحجارة على الجنود. ويصل الفتية وإدريس إلى المستشفى، يأتي آخرون بسبعة من المصابين بينهم أربعة طلاب صغار ورجل عجوز وامرأة شابة.

بشير عمرو
الخليل

■ إدريس جرادات :مرشد التعليم الجامع / الخليل / بلدة سعير أصيب برصاصتين مطاطيتين على مفرق عينون / الخليل .

مطر.. صفعة.. رصاصة

مع صبيحة كل يوم يخرج إلى عمله في مدرسة القرية المجاورة، يسير وكأنه يهيم في عالم الخيال واللاواقع، يُقلّب في ذهنه أخبار الأمس، شهداء... مصابين... اعتقالات... هدم بيوت... اقتلاع أشجار.

تحدثه معاناته حول صعوبة الوصول إلى المدرسة، يذهب سيراً على الأقدام، بعد أن قام الجنود بإغلاق الطريق الموصلة إلى القرية التي فيها مدرسته، يظهر ضجراً و تأففا وعدم رغبة في محادثة المارين كأنهم مجرد خيال أو ظل لجسده النحيل، رغبة في التخلص أو الخلاص مما يعيشه،يزداد هذا الشعور كلما مشى خطوة إضافية.

سيره مشبع بالتراخي، كأن الأخبار تحوّلت إلى هموم يومية، والهموم تحوّلت إلى أثقال سرقت من عمره أربعين سنة، حتى غدى وكأنه في السبعين.

يسأل أحد السائقين عن الطريق:

«هي ذاتها؟».

يجيبه السائق، ويحاول مداعبته بكلمات مل من سماعها

«الله بعين يا أستاذ، امشي... المشي رياضة».

لم تترك عليه هذه الكلمات أية ابتسامة، يرد في ذاته: «لست بحاجة لأية نصيحة في هذا الصباح».

سار حتى الآن كيلو متراً واحداً وبقي ثلاثة كيلومترات، وهكذا في العودة، وكأنها أصبحت عليه كفرض الصلاة، تعود به الذاكرة إلى الخميس الماضي، عندما كان عائداً إلى البيت، فانهمرت عليه خيرات السماء أمطاراً، عندما كان يقطع الطريق الجبلي حيث لا مكان يلجأ إليه،فاشبع جسمه بالمياه، كأنه صحراء متعطشة منذ سنين... أمطار كثيفة غزيرة كأن السماء حبست ما في بطنها عدة سنين وحان وقت التفريغ.

عند وصوله المفترق توقف متردداً، هل يسير من الطريق الجبلي رغم ما فيه من مخاطر...؟؟ واحتمال نزول المطر فيرجع الخميس الماضي في ثلاثاء اليوم، والطريق الوعرة هذه تجعله قبالة معسكر الجيش،وهذا بحد ذاته مشكلة، فالجنود لا يتورعون عن إطلاق النار على كل شيء يتحرك خاصة في الجبال، ويتذكر حدثا حصل قبل يومين عندما أطلق الجنود الرصاص على أحد العمال أثناء ذهابه للعمل، ليس على الآدميين فحسب، بل لم تسلم الحمير من رصاصهم.... ويخطر في باله «النفق» الذي كان يمر منه، فهو بحد ذاته أمراً مقززاً... تسير خمسين مترا تحت الشارع حانيا رأسك تشتم رائحة روث الأغنام التي تمر من هذا «النفق»... وتذكّر وقتها أنه يرتدي حذاءاً جديداً بقيمة ثمانين شيكلا، وهي أجرة يومين. فماذا ستصنع الصخور والحجارة والشوك بهذا الحذاء... هذه الأسباب دفعته ليواصل سيره عبر الشارع، مارا من أمام معسكر الجيش.... عساه يفوز بدقائق من الوقت... أو على الأقل يسلم الحذاء.

متردد الخطوات، يخرج البطاقة الشخصية من جيبه، يفتح المعطف... فهو يحفظ الدرس... كأنه تلميذ نجيب. محدثاً نفسه. «اليوم كلما تسير خطوة يعني أنك أصبحت هدفا للجنود الذين يميلون لمضيعة الوقت، والسخرية من المارين. وربما تكون لعبتهم هذه المرة معلّما قادته قدماه ليكون كلمة يلفظونها من أفواههم النتنة، أو يكون كرة لأقدامهم المتسخة». يقترب... يرى جنديا يصوب بندقيته من برج المراقبة. وهناك جندي آخر يقف على الشارع..... يطلب منه الجندي التوقف... يأمره بأن يدور حول نفسه رافعا معطفه بيديه.... يأذن له بالتقدم رافعا يديه في وضع الاستسلام، يسأله الجندي بعربية ركيكة:

- لوين رايخ.
- إلى المدرسة، أنا معلم .

في لحظة حوارهما يخرج من المعسكر جنديان آخران أحدهما ضابط. و يدور بين الجنود حوار، يدقق المعلم النظر في الضابط ليرى في عينيه حقداً دفيناً، وملامح أولئك المسؤولين عنه، الذين يظهرون على شاشات التلفاز مهددين متوعدين... سأله الضابط عن سبب وجوده هنا،.. وقبل أن يجيب سبقه الجندي وحادثه بالعبرية وكأنه أخبره أنه يريد الذهاب إلى المدرسة، وأخذ الجنود يتحدثون فيما بينهم... ويتخلل حديثهم ضحكات، عرف منهاأنه محطّ سخريتهم، فنظراتهم إليه تفشي خبثاً دفيناً في سريرتهم، اقترب إليه أحدهم مصوبا البندقية نحو رأسه، فيما قام الضابط بتفتيشه من أعلى إلى اسفل، ومن الإمام إلى الخلف كأنه يتفقد أشياء في جسده... أخرج كلَّ ما بحوزته من أوراق ونقود، أما الجندي الثالث فقد أخذ بطاقته الشخصية ودخل البوابة، ربما ليخابر، عساهم اصطادوا «مطلوبا «، ثم بدأ الضابط بتقليب الأوراق بين يديه مدققا في حيثياتها، فشعر المعلم عندها أن الضابط يقرأ العربية، فوقع بين يدي الضابط برنامج الحصص الدراسية وعليه خارطة فلسطين مُلّفحة بالعلم، فثار غضب الضابط وصرخ:

- أنتم معلمون أم مخربون.
- المعلم: لا..لا.. أنا معلم.

يصرخ الجندي في وجه المعلم طالباً منه السكوت وعدم الحديث. وعاود الضابط الحديث موجها كلامه للمعلم:

«أتعلّمون الأولاد ضرب الحجارة وطعن الجنود»؟؟.

بقي المعلم صامتا، لم يحرك شفتيه، وواصل الضابط حديثه:

«أتعلّمون التاريخ الأحمق والجغرافية المشوهة، يافا والقدس والقسّام؟ إنكم مخربون».

اقترب الضابط خطوة، صفعه على وجهه، ثار غضب المعلم،لكنه كتمه في صدره، شعر عندها كأن ناراً بدأت تحرقه، ثم حاول الضابط صفعه مرة ثانية فكان المعلم أسرع منه، أمسك بيده أنزلها بقوة، صارخا:

«لا تضرب، لماذا تضرب؟».

في هذه الأثناء أخذت السماء تبكي بأمطار غزيرة دفعت الجنود إلى الدخول وإبقاء المعلم جالسا واضعاً يديه خلف رأسه... مضت أكثر من عشر دقائق على هذا الحال والأمطار تزداد حدتها كأنها تحفر

في رأسه ثقوباً.

ينهض بغضب نحو البوابة صارخاً:

«أعطوني هويتي أريد الذهاب».

يصرخ به الجندي طالباً منه البقاء مكانه وعدم التقدم... يصل البوابة يهزها... يجدها مغلقة...يعود للوراء حيث طريق المدرسة يطلب منه الجندي التوقف... لم يبال بكلامه.. لم يسأل عن بطاقته... لحظتها شعر أن بطاقة كهذه قيد عليه التخلص منه يصرخ الجندي:

«توقف! توقف! قبل أن أطلق النار».

لم يخضع له، يصوب بندقيته باتجاه المعلم...تنطلق رصاصة...فتصيبه...سكون غير عادي يلف المكان و يسقط ذلك الجسد النحيل بينما واصلت الامطار هطولها بحدة.

رائد حامد السلوادي
مدرسة ذكور عين يبرود الثانوية
رام الله

حصار

حاصر يحاصر حصاراً ومنه حصراً – وهو يذكرنا بداء ليس له دواء إلا الفضفضة – وكلنا محاصرون: مدننا قرانا مخيماتنا محاصرة. أنا وأنت وهو وهي، في بيوتنا، في مقراتنا محاصرون، وحتى دمنا في الشرايين، وماؤنا المهين فرض عليه سادة الساديين الحصار.

اليوم السادس عشر من آذار عام ألفين واثنين...منذ خيوط الفجر الأولى، لم يكن ذلك اليَوم جميلاً. أخفقت نجمة الصباح في إيقاظ بتول الندى والياسمين، ذلك أنها احتجبت خلف غيمة سوداء على غير عادة الغيوم في هذا الأوان، وديك الصباح لم تتفتح على صياحه العذري الآذان، لم ينطلق صوته يدغدغ السنابل والأفنان، وكل ما هناك ظل مع دجاجاته يعد للآتي، ليس جبنا منه ولا ضنا بموروث، لقد أحسّ بالقادم من خلف السياج واستشعر رائحة الجريمة، فآثر الصمت حتى لا يقال انه وبصياحه دل على مكمن الرجال.

يا الله نجمة تحتجب، وصباح يأتي ذابلا متجردا من بهائه، يشيعه ديك حزين حزين ... ماذا جرى؟ انقلبت الموازين؟؟ اليوم السادس عشر من آذار! بعد أيام خمسة ولا تزيد، من المفروض أن يطل الربيع ضاحكا مستبشرا طلقاً ومعه عيد الأم بما فيه من نغمات وردية وأشواق. بعد أيام عيد النيروز، عيد

الجمال والدلال، مهما كابرت لا تملك إلا أن تنحني إجلالا لهذا الملكوت العذب الرائع. وما أرقها تسابيح الجمال وهي تنساب إليك مع ساعات الربيع الأولى.

على غير عادته صوت نشاز حطم قارورة الأحلام والأمل بربيع وردي، انطلق من مكبر صوت محمول على مقدمه «جيب عسكري» ممنوع التجول من الآن وحتى إشعار آخر وكل من يخالف يعرض نفسه لإطلاق النار، ممنوع التجول صوت فيه رائحة الاحتلال، لكنة غريبة لم تطرق مسامعنا منذ سنوات خلناها بداية نهاية المطاف لالشوك والدموع والأغلال، ممنوع التجول... والتزم السامعون ووضعت رأسي بين الرؤوس، كنت وحيدا في شقتي، زوجتي والأولاد هناك على بعد أربعين كيلومترا في منزلنا الثاني، يتجرعون ذات الكأس الإحتلالية وذات الصوت النشاز الذي ينطلق هنا من مكبرات الصوت ينطلق هناك، ممنوع التجول....وأخذت رحى الوقت تنطلق تدور تطحن الدقائق والساعات وانتقلت من غرفة إلى غرفة عشرات المرات أمسكت بكتاب سرعان ما تركته في مكان ما... وكأنه لا تربطني به رحلة عشق وإعجاب... شربت القهوة والشاي... وصوت مكبرات الصوت، ممنوع التجول، يسلب من قهوتي حلاوة السكر المذاب.

ومضت ساعات والشمس في الخارج تزداد إضراماً، مدت ألسنتها ببعض معاني الجحيم، قرع عنيف هزّ هدوء الأبواب الموصدة...«إفتخ الباب» وما بين افتح وافتخ نقطة صغيرة سوداء تتربع حرف الخاء... الحاء بداية الحب والحياة، والخاء الخوف والخذلان..... نقطة سوداء صغيرة لم تستطع كل تحولات الزمان المتافيزيقية والسيكولوجية أن تمحوها من معجم استعباد الإنسان...لأخيه الإنسان.

«إفتخ الباب».

لم ينتظر الإجابة، بأقدامهم، بأعقاب بنادقهم ركلوه... ورفعت صوتي بغير ما إرادة مني:

«انتظر أنا قادم».

سمع ذلك الجنود أم لم يسمعوه، تجاهلوه، وتوالت الركلات والضربات وهُزمت «سكرة» الباب أمام بصاطير الهمجية وتراجعت الوداعة والأمان أمام أعقاب البنادق العصرية... هكذا الدنيا... قالها صديق يدعي الحكمة وقد أخبرته بما جرى وصار.

وتقابل وجهانا جندي يعتمر خوذة حديدية مصفحة، وجهه مخطط بمزيج من دهان غريب يجمع بين الأسود والأصفر، يحمل بندقية لم أميز نوعها فلست بمعرفة أنواع البنادق خبيرا بصيرا.

«ارفع إيديك، إيديك فوق.. فوق....».

رفعت اليدين ومعهما دعاءاً بسيطاً أرسلته في بريد الأيمان إلى رب السماوات في علاه أن يخلصنا من الأشرار وأن يحول في هذه اللحظات بينهم وبين ما يشتهون... وأن يضرب على أعينهم غشاوة فلا يبصرون.....وكان أول ما طالعهم تفتيشي من تحت الإبطين إلى أخمص القدمين وبعد أن رفعت ـ تحت ضغط أوامرهم العسكرية– عن موضع الحزام... .

مجموعة من الملصقات واللوحات الفنية التي كنت قد علقتها على صدر الواجهة المقابلة مباشرة للباب، وكأني أردت بذلك أن يتسنى للزائرين أخذ الانطباع الأولي عن توجهات ساكن هذه الشقة،ملصقات ولوحات ضمت رسومات كاريكاتيرية وجملا اسمية تعبر عن مجموعة الحريات الأساسية.

قرأ... الحق في التعليم..... يبدو انه يقرأ العربية جيدا ذلك أنه قال وفي الحال:

«التعليم! وماذا تعلمون أبناءكم التخريب، القتل، ضرب الحجارة، المتفجرات».

ما أشد ظلام وظلم هذا التفكير! أطفال على هيئة رسومات كاريكاتيرية فرحون مستبشرون مبتسمون تشع من سيماهم كل انطلاقات البراءة ومعانيها. وعبارات ليس فيها إلا معنى الحياة والحب ويسميها تخريبا، يبدو أن النقطة السوداء تأبى أن تغادر قاموس فكرهم... وبيده غير المشلولة مزق الملصق وترك بقاياه تئن تحت الأقدام.

في غرفة المكتبة حيث آلاف الكتب، كان أول ما وقعت عليه عيناه لوحة فنية، توجه إليها وقف أمامها... هل أعجبته...؟ هل هو من أصحاب الذوق الفني؟! هذا ما تبادر للذهن المسلوب من صفائه...لقد ترك النظر إلى آلاف الكتب لم يفتشها، وشعرت أن الله قد استجاب الدعاء إذ كان بين الكتب المئات تتناول فلسطين والقضية وأمور اليهودية والبروتوكولات والماسونية... كلها كان يمكن أن تبعث على التساؤل والمحاسبة، ولكنه وقف أمام اللوحة ولم يلبث طويلا حتى قال:

«ماذا؟ ماذا كتب هنا؟.

وأدركت أن استغراقه هذه الدقائق في اللوحة لم يكن مبعثه الإشعاع الجمالي الذي ينطلق من ثناياها، لم أستغرب أنه قبل لحظات قرأ ما كتب على الملصقات حول حقوق الإنسان... أما الآن وأمام هذه اللوحة يطلب مني أن اقرأ ما كتب عليها من كلمات. قرأت له:

«البشرة ألوان والدم لونه واحد».

لوحة فيها رسومات تمثل ألوان البشر، في كل بقاع المعمورة، أسود، أبيض، أصفر، حنطي، أسمر... ألوان، إلا أن الدم... لونه واحد... أحمر أحمر.صمت، واحد... اثنان... ثلاثة لم يعلق ولم يكد العد يصل إلى خمسه حتى قال:

- أه ساميون، كل العالم ممثلون هنا إلا اليهود.
- اليهود؟؟ كيف... لوحة تمجد كل الألوان والأجناس بعيدة عن حدود التوجهات العقائدية ليس فيها طعم العنصرية ولا مذاق الشوفينية.

أردف وقال:

- لا لا ساميون تكرهون اليهود لأنهم شعب الله المختار كلكم تكرهون اليهود، تكرهون اليهود.

كررها مرات ومرات قبل أن يهشم ببندقيته زجاجها والإطار... أنهى ذلك وهو يقول اليهود شعب الله المختار فوق كل الألوان.

- ارفع إيديك وانزل للحارة بسرعة.. بسرعة.

وتجمع على صوته من كانوا معه وقد انهوا عبثهم في غرف الشقة... واتبع القول بالعمل دفعني من صدري

- يلا انزل.

استدرت فدفعني من ظهري

«بسرعة بسرعة».

وخرجت... وظلوا هم في الدار... صاحب البيت خارجه والآخر يعبث فيه ويعيث... في الخارج التقينا أكثر من عشرين من رجال الحارة وشبابها وحتى الفتيان خرجوا لم تشفع لهم طفولتهم.... وحدقت بي عيون من سبقني من هؤلاء....

أبو معاذ أخرجوك؟! واحد من هؤلاء سب بصوت مسموع اليوم الذي رأيناهم فيه، وآخر قال بل لعنة الله على من كان السبب؟؟. تعاطف حبيب من أبناء حارتي ربما لأني أكبرهم سناً فيهم فكلهم دون

الخمسين بكثير إلا أنا...كنت في نظرهم كما يحلو لبعضهم أحيانا أن يسميني شيخ الحارة وصاحب الرأي في معظم ما يعرض من مفاجآت.

وارتفع صوت الجندي:

«وقف امليخ، إيديك فوق الرأس ووجهك على الواجهة».

ووقفنا: اليدان فوق الرأس مشبوكتان.. والقدمان متقاربتان والقامة منحنية قليلا هكذا في وسائل الإعلام قال بعض من أتقنوا تغيير الأقنعة بضرورة الانحناء قليلا أمام العاصفة. لم يكن ما فعلناه تمرينا رياضيا لكنه مشهداً حدث وصار في الخامس عشر من آذار عام ألفين واثنين من العام الثاني من الألفية الثالثة ألفية العولمة وزمن ما بعد الحادي عشر من أيلول «سبتمبر».

طال الوقوف.... دقيقة، اثنتان، ساعة، ساعتان، وخدرت الرجلان، وكلت اليدان، والتفت هنا وهناك. عشرات الجنود مصبوغي الوجه يتحلقون حولنا وباستمرار «إيديك فوق رأسك»... أنزلت اليدين بدون استئذان وكان الرد السريع «إيديك فوق رأسك»، والتفت صوب الصوت لأقول له بغير لغته التي لا أجيدها أريد أن أحركهما... كانت كلماته أسرع من نظراتي.

«دير وجهك وايديك فوق الرأس».

وأتبع القول بوخزة من فوهة بندقيته، ولم أنطق بما كنت عزمت عليه، ومن حولي أحد الجيران أسمع من جواره «لا حول ولا قوة إلا بالله» وامتد خدر القدمين إلى الساقين والكفين ولم تفدني حركة أصابع القدمين حيث لا يرونها داخل الحذاء.

وتمر الدقائق وأرباع الساعة وأثلاثها وأنصافها وتمر الساعة والساعات ولا صوت في هذه الساحة غير «إيديك فوق رأسك» والشمس وحدها فوق رؤوسنا تجري لمستقر لها مطلقة سيلا عرماً من شواظها.

أصغرنا سنا ممن حضر المراسم وطلب ماء.... أريد أن اشرب لم يعطوه... حرموه...منعوه شربة ماء وتلاه آخر وطلب أن يفرغ ما في مثانته من ماء، أعطوه ما أراد وقضى حاجته غير بعيد عن الحضرة. كان صوت الماء الخارج مسموعا مما بعث على بعض الابتسامات على الشفاه الملتصقة من العطش وقلة الكلام. وطلب آخر ذا الأمر وسمح له، وأسهم توالي البسمات في انفراج الشفتين مما دفع معظم رافعي اليدين أن يطلبوا ذات الطلب.

أنا... أنا، معظمهم قال وأنا. ولم استغرق في التفكير طويلا لأدرك سر هذا التهافت على قضاء الحاجة إنها فرصة لا توسل فيها لإطلاق سراح الكفين المغلولتين فوق الرأس وفرصة لإعطاء القدمين حرية الحركة ولو خطوات. جندي مصبوغ الوجه قال:

«كلكم بده».

رد أحد رافعي الكفين ولم يأخذ فرصته بعد:

«وماله كله معاه سكري يا خواجا» وأردف:

«اتا يوديع ما سكري؟؟ sugar».

ولأنها فرصة ذهبية له في إطلاق سراح اللسان، حول وجهه قبالتي وقال: وأبو معاذ ألا تريد أن تفعلها؟؟..

لم أقرأ في سؤاله ما يعيب ويغيض أفهم رغبته الجامحة في الكلام ـ أي كلام ـ قلت له: ليس عندي سكري؟..

عقبّ آخر مازحا وقال:

«معقول أكبرنا سنا فوق الخمسين وكل رحلات القهر والهزيمة والنكبة والنكسة ليس عندك سكري؟؟»

قلت:

«عندي علقم، حنظل، عندي... ». ولم أكمل لأن صوت الجندي تعالى:

«شيكت» إيديك لفوق».

ومع هذا الصمت ألقيت على نفسي سؤالا طالبا إشراك العقل والروح والفؤاد في البحث عن الجواب... إلى متى هذا العذاب؟؟؟

واستفسر العقل أي عذاب تعني، غيرك يقضي الآن في الزنازين وخلف القضبان وغيرك ضربوه...عذبوه...جرحوه ويقال أن بعضهم أطلقوا عليه الكلاب فنهشته ومزقت ملابسه، احمد ربنا أنهم اقتصروا حتى الآن على هذا الأمر.

قالت الروح: أيها العقل ليس العذاب في جراحات الجسد. جراحات الجسد تشفى ألم تسمع ما جاء في حكمة العرب جرح اللسان أنكى من جرح السنان...؟

أليس الضرب أهون من محاولات الإذلال... ماذا يريد هؤلاء السارقون أم أنهم كما قال جيران. فقاطف الورد مأخوذ بفعلته أو سارق الروح لا تدري به البشر.

أبو معاذ... شيخ الحارة... يرفع اليدين فوق الرأس هل ستستمر ذات الصورة الجميلة النقية البهية في مرآة الآخرين، ماذا لو فعلها وقال: وأنا ورفع غير بعيد عن هؤلاء الجيران ذيل دشداشه سيضرب أكثر من عصفورين بحجر واحد فك اليدين وإطلاق سراح القدمين والتحرر من إفرازات السكري؟؟ وانه يطلق من عنانها آهات يحرص أن لا يسمعها الجيران كل هذه الامتيازات لا تبرر أن يبصره الجيران وقد رفع ذيل دشداشه وأن يسمع الأدنون منه شخيب حلبه.

لم يطل التفكير والمنولوج قبل أن تصدر الأوامر الجديدة كانت القناعة لديه «الموت مع الناس رحمة» ومهما كان،ومهما فعل مصبوغو الوجه من جند الاحتلال فلن يهزم الحب مع الجيران لن تتهشم المرآة ولن يتحطم الإطار وسيبقى أبو معاذ في أعين وقلوب ووجدان كل هؤلاء الجيران شيخ الحارة المحبوب.

«اسمع أنت وإياه».

هذا ما بدأ به الضابط المسؤول

«دير وجهك... صفوا وراء بعض واحد واحد».

وانتظم الصف ولأنه لا مجال هنا للتقديم والتأخير ومع حفظ المقامات والألقاب كان الأصغر سناً الأسرع إلى مقدمة الطابور.... وسرنا.... كانت مشيتي جراء خدر القدمين صعبة، يخال لمن يراني بأنني أعرج وتوالت الخطوات وغير بعيد من مكان الاحتجاز في الحارة كانت تقف ثلاث دبابات فتحت أبوابها الخلفية.

قال الضابط:

«أنت وأنت».

ووصلت أنت إلى الثامن في الطابور.

«أدخل في هذه الدبابة وأنت وأنت في هذه الدبابة».

ووصل العد إلى الثامن عشر في الطابور وكنت أنا... قال الضابط:

«وأنت انتظر».

قالها الضابط وقد جعل من كتفي كابحا لقطار عده.

- أنت كم عمرك؟؟
- اثنان وخمسون عاما، وأردفت في حوار داخلي من مواليد عام 1950، أمي تقول عام الثلجة وجدتي تقول بعد النكبة بعامين... كل هذا الحوار مر سريعا كالخاطر...

وكأنه لم يصدقني مع أن تجاعيد الوجه ومشيب العارض يؤكدان على صحة ما قلت تناول هويتي من ركام الهويات الخضراء والحمراء.

- سنة الولادة 1950 لماذا خرجت من الذي أخرجك؟».

سؤال لم يطلب عليه جواباً لأنه هو من فعل ذلك، هو من دقّ صدري بغضب ببندقيته وهو ذاته من دفعني من ظهري... وهو بالتأكيد من رفض أن أنزل الكتفين من فوق الرأس. قال:

«خذ هويتك وارجع للبيت بسرعة».

وأخذت هويتي في ظل من الحيرة والإرتباك لم أكن أبدو لمن رآني في تلك اللحظات فرحا لإطلاق سبيلي ولم أدرك سر هذا الانقباض إلا بعد أن عاد رجال الحارة بعد ساعات... خرجت لملاقاتهم على درج العمارة... أحدهم قال بصوت ناضج تحمله أكف الضحكات:

- راحت عليك!.
- ما الذي راح. وهل ساعات في قبضتة جند الاحتلال أمر يحسد رواحه.
- ركبنا في الدبابة راحت عليك.

وأخذ يصف لي رحلتهم في داخل الدبابة من مركز الاحتجاز إلى مركز التجمع في مدرسة البنات...

فيها كل شيء، رفوف ممتلئة بالذخيرة، وعتادا فيها... وفيها... واستمر في وصفه وأنا ابحث عن جواب هل فعلاً راحت علي؟ لم أتمكن من إقناع نفسي بذلك...

قال جاري:

«لسوف أروي لأبنائي وأحفادي عن ذلك».

قلت في نفسي أولادي كبروا ولن يحتاجوا إلى أن أقص عليهم كيف عدت إلى البيت وذهب الجيران في الدبابة.

قبل أن أكتب هذه السطور، وجدت في ذاكرتي أن سبب انقباضي يوم ركب رجال الحارة في الدبابة إلا أنا (يوم السادس عشر من آذار عام ألفين واثنين) هو أنني لم أكن معهم ولم يكن التلاحم كليا وفي ذات الذاكرة غفرت لنفسي. ذلك أني وإن لم أكن معهم جسدا فان القلب والروح كانا يحلقان فوق الدبابة التي حملتهم في جوفها.

ورصدت الذاكرة سطورا من رحلة معاناة لم يقرأها غيري في ذلك اليوم مفادها والمضمون إن عدم ركوبي في الدبابة ساهم في الإنفكاك من حصار شديد ما كان ليكون لو قلت ونحن محتجزون و طلبت فك اليدين والسير خطوتين ورفعت أطراف الدشداش لأقضي حاجة لا غنى عنها.

وكان أن أسدل الستار عن اليوم السادس عشر من آذار عام ألفين واثنين والذي تبين أن ما تلاه من أيام لم يكن في ذاكرة الأزمان أفضل حالاً ولا أهدأ بالاً.

فايق مزيد
قسم النشاطات
مديرية تربية قلقيلية

ذاكرة نازفة

لكل ولادة مخاض، ولكل مخاض ألم... أما الألم الفلسطيني فهو من نوع مميز، وقد تركت مخالب الاحتلال الصهيوني وأنيابه الزرقاء، نكبات وويلات على إنسان هذه الأرض، وخاصة فئة الفكر والعلم لممارسة سياسة التجهيل متزامنا مع التنكيل... وماذا أكثر إجراما وإمعانا في الأذى من حرمان الأمة من عملها وثقافتها؟

كوني معلماً يعني قضائي كل يوم ساعتين من السفر تنقلا ومشيا بين عشرة أكوام وحواجز من التراب والصخور، وبين غبار وحر الصيف، ووحل وقر الشتاء، وسوءٍ مع طول الانتظار، أما وعورتها فهي الأكثر ضنكا... ويا لها من محطات عبور مفعمة بالخطر كل الوقت، تحت حراب وأمام فوهات البنادق، والتي ما تنفك تبث أزيز رصاصها العشوائي، أمام وخلف وحول المارة، وما صوت لعلعتها إلا حالة من الفزع والرجفة والكآبة وقد يتنوع الأسلوب بين المفاجآت والعشوائية إلى الإصابة أو ربما الموت... والله ما من مرة اجتزت فيها حاجزا عسكريا إسرائيليا إلا وتوقعت إحدى الرصاصات تصيّرني مقعدا، أو نازفا من جرحي، أو خبرا في وسائل الأعلام.... كم تعثرت في الوصول على ميقات الدوام، ولقد انقضضت حصص كثيرة ذهب نشاطها فخسرت التحضير، وخسر أربعون طالبا حقهم في التعليم، ولطالما عدت أدراجي أمام منع التجول لأبحث عن وسيلة أو طريقة توصلني إلى المدرسة، فمرة بواسطة

سيارة إسعاف وأخرى في سيارة النفايات، أو قاطرة جرار زراعي عبر التلال الوعرة، انه الألم الذي يصاحب ظهري دوما أثر انزلاقي على كومة بعد أن صدمنا مستوطن بسيارته، أدخلت على أثرها إلى المستشفى، وأرقدتني شهرا عن العمل ومعي خمسة من زملائي.. أنها رجفتي من القناص الذي لا يخطئ، أو هلعي من الأمر العسكري بالتوقف على الجدار، أو جلوس القرفصاء، أو الشتائم البذيئة، والتفتيش العشوائي، وأذى الأمر، إنه التوقف لساعات أمام المارة لي ولزملائي وحجز الهوية، ونفاذ الانضباط لطول ساعات الوقوف.

أنها العصا التي كان يتوكأ عليها زميلي، ويمسك بيده الأخرى أحدنا أو اكثر لكي يتخطى ذلك الصراط «صراط العجزة».. رحم الله زميلي، فقد أوصلته المعاناة إلى جوف الأرض!!!.

كنت مع زملائي يدفع الواحد منا ثلاثة عشر شيكلا يوميا، أما الآن فندفع ما بين عشرين أو اثنين وعشرين شيكلا يوميا، وهذا من أشد أنواع المعاناة لأن الدخل الشهري في الوضع الطبيعي لا يكفي إلا لضروريات الحياة، ثم أن واقع الحياة المرير ألزمنا أن نقتطع 160 شيكلا شهريا لصندوق الطوارئ الوطني، وهذا يعادل ألفي شيكل سنويا... المعلم في أمس الحاجة لها هكذا أقحمنا الوضع السائد في ديون ومطالبات...!!

تمزقت كتب وقراطيس، ووسائل تعليم كثيرة، وضاعت أخرى أثناء التنقل أو التفتيش وسقطت بعض المحتويات من الجيوب أثناء التنقل الفوضوي... وثمة مرة لم أجد سبيلا للوصول إلى بلدي غير المرور من نفق مظلم موحل في أسفل الوادي، وحصلت مضايقات لنا أثناء الدخول من طرفي النفق واللقاء في الظلمة مسافة مئة متر.

اتصل مدير المدرسة بمنزلي، فردوا عليه بأنه ذهب إلى المدرسة، ولكنني لم أصل وقاربت الحصة الثانية على الانتهاء، ووقع المدير وأهل بيتي في حيرة وظل الاثنان على اتصال حتى وصلت مع بدء الحصة الثالثة بعد شك بأنني قد أصبت أو اعتقلت أو....!! أو....

مشيت أكثر مما ركبت، وركبت أضعاف ما يجب أن أركب، وعقارب الساعة تتراكض حتى يكاد مغيب الشمس أن يدركني... .

وأخيرا داهمت منزلي دبابتان، وأتلفوا أثاث ما جمعت في عمري، عذبوني مع أبنائي الستة على مرأى من عيني، ويا لها من ليلة اختلط فيها كل الرعب مع الدم النازف من وجه ولدي ليلة 2002/05/25، وقد

كتبت صحيفة الحياة التي صدرت في اليوم التالي للحادث، لا نوم في تلك الليلة من فزع الصهاينة ونحن بين حطام المنزل وهوان الضرب، ولذة عودتي إلى الوطن بعد سبعة وعشرين عاما في المنفى القسري، هذا مع عشقي للموت فوق ثرى فلسطين!!!

حلحول 2002/05/26
محمد شحدة مصطفى الوحوش
مدرسة خلة الميه / يطا

حكاية إنسان

أخرج رأسه من العربة المصفحة، ثم وقف يرمقنا بنظرةٍ متعالية و كأننا حشرات من حوله، قال بغضب و هو يسدد فوهة رشاشه الأوتوماتيكي نحونا:

«لا شيء يستدعي بقاءكم هنا، هيا... هيا عودوا أدراجكم...عودوا من حيث جئتم».

اقترب أحد الرجال منه و هو يلوح ببطاقته الشخصية محاولاً إبراز بطاقة العمل، عندها اشتعل الجندي غضباً و قال:

«ارجع لا تتقدم (و أطلق قنبلة مسيلة للدموع) (شام)».

تبعثرنا...تناثرنا جميعاً للخلف هاربين من سم الغاز المتصاعد من القنبلة و بقينا في مكاننا ننتظر أن يحدث الله بعد ذلك أمراً... إلا أن أمر الله لم يحن بعد بمغادرة تلك العربة، ولا زلنا ننتظر و ننتظر...حتى أصبحت الشمس في كبد السماء عندها أدركنا أن لا فائدة من بقائنا وأخذنا نلهث باحثين ع طريق أخرى نشقها،فكل منا تعب للوصول إلى مكان عمله.

سلكنا طريقاً طويلة اجتزنا خلالها عدداً من الأراضي الزراعية و البيوت البلاستيكية. والمهم أنه لا

وقت للشعور بالألم «بالتعب» بالحر... بالبرد... بالذل... بالقهر... بالعذاب.

كان علينا اجتياز طريق وعرة...صخور، وشمس لا تنفك تصب سخطها فوق رؤوسنا، أو مطر لا تكاد الأرض تجف منه حتى تسقط في برك من الوحل والطين لتخرج بعدها في أبهى صورة. والحذاء «أجلكم الله» لا أكاد أنسى أمر الحذاء حين يصبح ثقيلاً بفعل الطين والوحل العالق به.

فكرنا ذات مرة وَفي أحد أيام الشتاء الماطرة بتَغطية الحذاء بكيس من النايلون لتفادي أمر الطين... بدت الفكرة رائقة لنا جميعاً، وأصبحت حقائبنا معبأة بأكياس النايلون... و كلما تلف الكيس كان هناك كيساً آخر يحل مكانه، إلا أنها ليست بالطريقة الآمنة فكثيراً ما كنا نتعرض لخطر التزحلق فوق الطين. بل وأذكر أن إحدى زميلاتي تزحلقت بالفعل. لكم كان منظرها مضحكاً حين أصبحت كتلة من الوحل. ضحكت في البداية ثم ما لبثت أن بكت... بكت بحرقة...بحشرجة محتضر حين تذكرت أن طالباتها سيشاهدنها بهذا المنظر.

وهناك الأسلاك الشائكة التي لم يكن بالإمكان اجتيازها إلا بمساعدة زميلة أو اثنتين و إلا تمزقت ثيابي. وهناك الجسر الحديدي الذي يحيط حديّ الشارع، كان لا بد من اجتيازه هو الآخر فإما بالزحف من تحته إن كان عالياً أو القفز من فوقه غالباً. ولكم كنا محظوظين حين تنتهي المعركة بالنصر و التمكن من الوصول إلى الشارع وركوب إحدى سيارات الأجرة والوصول إلى المدرسة،إلا أن هذا لم يكن ليحدث دائما فلطالما كانت مدرعاتهم ودباباتهم تنهب الأرض والزرع لنجدها في انتظارنا تقل عدداً من الجنود. وما أن يشاهدونا حتى يسرعوا نحونا ومن ثم تبدأ المطاردة والمعركة من جديد... أركض..أركض بأقصى سرعة ولا تنسى التفوه بكلمات الشهادة فأنت تحمل روحك على راحتك مع كل يوم تجتاز به الحصار المفروض على مدينتك. غالبا ما تنتهي المطاردة بتطويقنا وبجمع البطاقات الشخصية.

ظهر من أعلى الدبابة جندي أسود، امتقع وجهه وصرخ قائلاً:

- وين؟!
- إلى حبله... عزون...حبله... رأس عطية... إلى المستشفى.قلنا جميعا.

صرخ قائلا:

«ابتعدوا...لا تتجمعوا هكذا...صفوا في طابور، وأنت... نعم أنت اجمعي البطاقات الشخصية منهم وهاتها لي.

ثم ما لبث أن ظهر جندي آخر يمسك بيده زجاجة من عصير البرتقال، وللحظات توالى ظهور العديد منهم. كانوا يراقبوننا كما لو كنا نعد العدة لاختطافهم.

تقدمت إحدى زميلاتي من الدبابة وأعطته البطاقات، نظر إلينا وأخذ يعدنا ثم عد بعد ذلك البطاقات وعندما تأكد من مطابقة العدد بدأ بممارسة هوايته المفضلة... التعذيب.

قال في نفاذ صبر:

«صفوا في طابور.... ألا تعلمون ما هو الطابور؟! الطابور يعني نظام... نظام...(عرقي)....»

ضحك آخر وقال:

«اجلسوا على الأرض.»

جلسنا على الأرض إذ لم يكن لدينا خياراً آخر.

نظر الأول إلى البطاقة الأولى ونادى: من أ...؟

أجاب رجل: نعم، أنا هو.

نظر اليه شزراً و قال:

«ألست من قلقيلية؟ ! ألا تعلم أنك محاصر... محاصر...يعني ممنوع «ممنوع الخروج من قلقيلية».

حنى رأسه: نعم أنا معلم وهذه بطاقة المع....

قاطعه: اخرس وتثرثر يا.... عرقي....عرقي.... «قالها باشمئزاز».

ثم تابع ونادى على صاحب البطاقة الثانية وكانت إحدى زميلاتي، قال ببلادة: أنت يا حلوة... إلى أين ذاهبة؟.

فطأطأت رأسها:

- إلى المدرسة.

- بيت سيفر، «كين...كين» لماذا أنت ذاهبة للمدرسة «ضحك بسخرية» تدرسين.
- لا أنا معلمة.
- كين.(نعم بالعبرية).

قال آخر:

- ماذا تدرسين؟
- الكيمياء.

قذف الجندي زجاجة العصير من يده وقال وعيناه تقدحان شراً:

- ماذا؟!... الكيمياء؟!! أنت أذن. أنت تعلمّين كيف يصنعن الزجاجات الحارقة والقنابل!!

نظرت الزميلة إلينا بدهشة وقالت:

- من؟!... أنا؟!

قفز الآخر من الدبابة نحوها قائلا:

«اخرسي... لا أريد سماع صوتك...قفي جانباً.»

نظر في البطاقة التي تليها: قال من:؟

رفعت زميلتي يدها وقالت: أنا هي.

قال بوقاحة:

«أنت أمّور...قولي لي... ماذا تحملين في هذا الكيس أهي مخدرات أم متفجرات؟».

(ضحك من بالعربة وبقيت وزميلتي في وضع حرج، اغرورقت عيناها وقالت بانفعال

«لا مخدرات ولا متفجرات... إنها أوراق انتخابات».

قال ذلك القناص وهو يسدد فوهة رشاشه نحوها:

«انظر إلى الأوراق فلربما كانت منشورات... هاها...هاهاها «وتابع الضحك».

«دعيني أرى... نعم أوراق...أوراق».

اختنق صوتها وارتعشت شفتاها وقالت بعصبية:

«إنها أوراق امتحانات، اقرأها إن شئت».

راحت عيناه تتسلقان وجهها ثم ضحك وقال:

«لا... لا داعي لذلك».

عاد للبطاقات وكنت أنا هذه المرة، نظر إلي وكنت أحاول تجاهل نظراته وقال بنفاذ صبر:

«لماذا أنت غاضبة؟».

تجاهلت السؤال... بل تظاهرت بأنني لم اسمع شيئاً، وسرحت بنظري إلى الأفق ثم إلى قمة سروة عالية، ألا يوجد ما يثير الغضب، لا عذاب! ولا حرمان! ولا قهر! ولا ذل! ولا تجاهل لكرامة وحقوق الإنسان!... نحن نعيش في نعيم ما بعده نعيم؟

ثم يسألني بعد هذا كله: لماذا أنت غاضبة!!.

صرخ في وجهي:

«ماذا ألا تسمعين؟!».

إنقبض قلبي فأسرعت بالإجابة:

- بلى.
- إلى أين أنت ذاهبة؟ قال صارخا.
- إلى المدرسة.
- أنت معلمة؟.

- نعم.

صرخ أحد الجنود من أعلى الدبابة:

«ماذا تعلمين؟.»

التفت إليه ونسيت للحظة أنني اعلم اللغة العربية وقلت بملء فمي:

«التربية الفنية.»

تابع الجندي تفقد البطاقة ثم قال لزميلة:

«إنها أفضلهن، تعلم طالباتها كيف يرسمن ديكاً يفرد جناحيه هكذا، «وأخذ يقدم حركات بهلوانية غبية» ويصيح كووو..كو.

ضحك كل من بالدبابة ثم قال آخر ساخراً:

«لا بل تعلمهن كيف يرسمن نعامة لا تجيد سوى وضع رأسها في التراب».

غلت الدماء في عروقي وارتفعت حرارتها حتى وصلت قمة رأسي، عدت بنظري إلى قمة السروة، تمالكت أعصابي وبقيت أحكم وبقوة قبضة يدي حتى شعرت بأظافري تخترق باطن يدي.

تحول إلى البطاقة التي تليها: ص ع. ص ع أين هو؟

تقدم شيخ كبير يلبس «قمبازا» وكوفية بيضاء يلقى بثقله على عصا خشبية،

«أنا أنا هو».

ضحك الجندي:

- ماذا هل أنت نائم، أزعجتك. إلى أين أنت ذاهب؟ إلى المدرسة أليس كذلك؟... هاهاها.
- لا بل إلى المستشفى. ردّ بِانكسار.
- لماذا؟. سأل ببلادة.

- سأجري بعض الفحوصات استعداداً لعملية جراحية، وهذه الأوراق تثبت ذلك.
- سأسمح لك بالدخول.
- الله يرضى عليك.

«قلت في نفسي بل قل: غضب الله ينزل عليك».

- أنا رجل عجوز ومريض... منذ الصباح وأنا أحاول دخول المدينة.
- حسنا... حسنا سأسمح لك بالدخول ولكن بشرط... أتعلم ما هو؟

نظر الجندي إلى الشيخ وإنفجر ضاحكاً:

- أرقص... أرقص وسأسمح لك بالدخول.

رفع الشيخ عصاه في وجه الجندي وقال:

- أنا.. أنا ارقص؟!! منكم لله... منكم لله يا شر خلق الله، منكم لله، وين العالم ليرى ما نحن فيه وين الصحافة والتلفزيون.

قفز أحد الجنود بسرعة من الدبابة وضرب العجوز بكعب الرشاش ضربة أسقطته أرضا ثم اخذ الجندي يشتمه:

- عرقي، حقير ابن «زنا» لن تذهب إلى المستشفى ما لم ترقص. مت هنا كلب... سافل.

أكملوا لعبتهم الحقيرة حتى انتهوا ثم أعاد الجندي البطاقات لنا:

«غير مسموح الخروج من المدينة أو الدخول إليها... أما أنت يا حضرة الكيمياء ـ وأشار إلى زميلتي ـ نعم أنتِ وأنت يا عجوز ستبقيان هنا».

صرخت الزميلة وهي تخفي حنقا يلوك أحشاءها:

«بل سأذهب معهن.. لا يمكن أن أبقى هنا وحدي».

التفتت إلينا وهي تبكي:

«لا تتركوني وحدي».

صرخ الجندي:

«هيا اذهبوا... غير مسموح اليوم هيا... وإلا أطلقت الرصاص... ».

وبالفعل أطلق رصاصا حيا في الهواء. أسرعنا جميعا عدنا أدراجنا وبقيت هي والعجوز... لم نبتعد كثيرا، كنا نختبئ بين الأشجار نسمع بكاءها وسخريتهم وتمتعهم اللاّمتناهي في تعذيب الآخرين. أما العجوز فكان يجلس على الأرض ممسكا بعصاه و كيساً صغيراً، وباليمنى سبحة زرقاء يتمتم بصوت خافت عددا من الأدعية.

وبعد قرابة نصف الساعة تحركت الدبابة مبتعدة عنهما ثم ما لبثت أن أسرعت الزميلة نحونا. قالت لها إحدى صديقاتها:

«حمدا لله على السلامة، تصنعين المتفجرات إذن!!!».

ضحكت وضحكنا جميعا. المهم بالأمر أننا لم نيأس، بل توشحنا بالصبر حتى استطعنا الوصول إلى المدرسة كانت الحصة الثانية على وشك الانتهاء وكان من المفترض أن تجري كل معلمة بعض التعديلات على مظهرها العام قبل دخول الفصل حفاظا على صورتها أمام طالباتها. ولا يمكنني أن أنسى ذلك الشعور الذي كان يحيط بي من كل جانب... كنت أشعر دائما أنني كتلة من الإرهاق...التعب...العذاب.... الذل... القهر... كنت أجد نفسي أمضي معظم وقت الحصة أشرح وأنا جالسة على الكرسي وما أن أتذكر رسالتي التعليمية حتى أقف وأعاود الشرح وقوفا ثم يعاودني التعب والألم والرغبة في الجلوس ثم اجلس، وأعاود الوقوف... وأجلس لأجد طالباتي يرمقنني بنظرات الشفقة وقد كنت أحاط بنظرات الإعجاب.

أعترف أنني فقدت الكثير من حماسي ونشاطي. إذ ضاع هذا كله مع أول حاجز إسرائيلي اصطدم به ومع كل دبابة أقابلها ومع أول جندي سادي أقابله في طريقي.

لم أخلق من حديد، أنا إنسان من لحم ودم والمعاناة اليومية التي أواجهها كفيلة بتحويل الحديد إلى قديد.

وماذا بعد... انتهى يوم دراسي آخر ولا بد من العودة إلى البيت، لم تكن العودة بالأمر الهين فغالبا ما كنا نجدهم في انتظارنا.

- ماذا هل سنبقى على هذا الحال؟
- لا ادري... هل لديك حل آخر؟
- وأنا تعبت أيضا.
- كلنا تعبنا.
- لماذا لا نتقدم منهم.
- لننتظر.
- ننتظر ماذا؟
- أن يغادروا كما غادروا في الصباح.
- إذن لننتظر.

وتمضي نصف ساعة... وساعة ولا جديد.

- ما رأيكن؟
- هيا لتبرز كل واحدة بطاقتها الشخصية وبطاقة العمل.

تقدمنا منهم ونحن ندعو الله أن لا نعود خائبين، صرخ أحد الجنود:

- وين؟ وين؟... ممنوع... لا.. ممنوع...قلت ممنوع، ارجع..بيت..ممنوع.

قالت إحدى زميلاتي:

- نريد دخول المدينة، نحن من المدينة.
- هات هوية... واحد.... واحد... هات هوية «بسرعة».

أخذ البطاقات هنا ثم قال بسخرية:

- اقعدوا على الأرض.

صرخت زميلة أخرى: لدي أطفال ينتظرون عودتي.

- أخرس... أقعد على الأرض.

جلسنا جميعا على الأرض قرابة الساعة والنصف تحت وهج شمس الظهيرة الحارقة، لم نسلم من السخرية والإهانة، أصبحنا كالفئران تطاردنا قطط مفترسة بل نمور متوحشة... أصبحنا بلا كرامة... بلا إنسانية... بلا شيء.

اكتفوا بسخريتهم منا فهناك آخرون ينتظرون دورهم!.

قال الجندي وقد ملَّ لعبته السخيفة: خذ هوية... وعلى البيت.

وأخيرا أصبحت في البيت... أبدلت ملابسي، صليت، تناولت طعام الغذاء ونمت قرابة أربع ساعات ولم استيقظ إلا على رنين الهاتف النقال وكانت إحدى زميلاتي في المدرسة.

- س م في المستشفى.
- ماذا قلت؟!
- ولماذا هي في المستشفى؟! ماذا حدث؟!
- منذ ساعات استنشقت غازاً مسيلاً للدموع، قتل السم طفلها.

قالت زميلتي كلماتها «قتل السم طفلها» عدت واستلقيت على السرير وأنا أردد العبارة نفسها «قتل السم طفلها... لا بل قتل السم كبريائنا... كرامتنا... إرادتنا...رغبتنا في الحياة أيضا!....

أغمضت جفوني لأجد نفسي أعيش على سطح كوكب آخر بعيد عن كوكبنا هذا... كوكب ينعم سكانه بالحياة الكريمة. لم تمهلني الأحلام طويلا، ففي ساعات الفجر الأولى كان دوي المدافع والدبابات الثقيلة وأزير الرصاص يهزان أركان مدينتي، والأهم تلك العبارات التي كانوا يرددونها مع دخولهم كل مدينة: ممنوع التجول... التجول ممنوع من الآن وحتى إشعار آخر.

غادة باسم مسعود
مدرسة بنات عزون عتمة- قلقيليه

انتهى الكلام

(1)

كنا نجري إخلاء للطالبات من الطوابق العلوية إلى الطابق السفلي تحسبا لقصف مفاجئ بعد أن تكرر القصف في مناطق مجاورة.. وهذه لم تكن المرة الأولى لعملية الإخلاء في المدرسة.. إلا أن هذه المرة كانت أشد خطورة وكانت أصوات القصف أقرب وأشد إثارة لمخاوف التلميذات اللواتي تتراوح أعمارهن بين العاشرة والستة عشر عاما، والتلميذات قد علمن ورأين القتل بدم بارد، يمارسه الجنود دون التميز بين مدرسة، أو متجر، أو منزل أو مقر للأمن، وكانت صور أشلاء الأطفال، وصور الجثث المحترقة قد انطبعت في أذهان التلميذات.. وصمت العالم قد خرق آذانهن فلم يعد بإمكانهن التصديق أو الإيمان بفعل أو نجدة من غير أنفسهن.

كنت أدور بينهن وبين نفسي، أركض لجمعهن أو لجمع أشلائي، أو أركض للهروب من عيونهن.. أتصنّع الابتسامة والاتزان، وأنا أنتظر تفجّر الدم من أشلاء إحدانا.. تبكي الصغيرات من تلميذات الصف السادس فأقترب منهن، فلا ينطق الحب بأي فعل غير احتضان العاجز لعجزه وأهرب بمكر

العاجزين لعمل آخر فأصطدم «بصمود» تلميذة من الصف الثامن، أنظر باتجاهها فأراها باكية متأملة أطيل النظر إليها فتظن أني أعاتب فيها خوفها الطبيعي، فتعاتبني بقولها: أليس من حقي أن أخاف؟ أليس هذا شيئا رهيبا؟...

آه من حبي الأخرس... لا يملك لها سوى مزيدا من الصمت وبسمة الخجل من عجزي... وأثناء مروري بين التلميذات حاولت التصرف ما أمكنني باتزان وحاولت تنفيذ التعليمات الرسمية قدر المستطاع لكني كنت في نفسي مذهولة بمدى عجزي حتى عن الكلام..

ولما كان اليوم التالي كانت اثنتان من تلميذاتنا يحملن في الأكفان ضمن عائلة استشهد معظم أفرادها.. وكان الصمت قد أطبق على الجميع وانتهى كلّ ما في الكون من كلام....

(2)

كان كل يوم يأتي يؤكد لي وللجميع أنه عند صغارنا انتهى الكلام... وبعد أن غادر الجيش رام الله وعدنا للمدرسة،اقتربت مني «ريما» تهديني صورة والدها الشهيد وهي مبتسمة وهادئة ومتزنة ومستعدة لاختبار الشهر الثاني لتنال أعلى الدرجات كما هو معتاد.. أتدارك نفسي وأحاول مجاراة بسمتها الذكية وأمسك برسم والدها وأنا مذهولة من صمت عيونها التي انتهى عندها الكلام...

أنتقل لشعبة صفيّة أخرى فتخرج من بين التلميذات «سجود» بوشاحها الأسود لتخبرني أن استشهاد أختها الشابة ليس بعده كلام..

وأما «ختام» فهي تلميذة رائعة، انتقلت مع بداية الفصل الثاني إلى مدرسة قريتها البعيدة، انتقلت ختام قبل أن أعلم أنها فتاة يتيمة وأنها من ضمن أسرة كبيرة خلفها أب شهيد وأن الطرق الصعبة جعلت من الصعب جدا التحاقها بمدرستنا ففضل ذووها نقلها لمدرسة أقرب، وظلّ اسم ختام حاضرا معي خلال الفصل الثاني فكنت بلا قصد أنادي التلميذة «منال» باسم «ختام».. وتكرر هذا فخفت أن تتضايق «منال» فأخذت أدرب نفسي على نسيان اسم ختام، وفي صباح اليوم الذي نويت فيه أن لا أذكر اسم ختام مطلقا، ومن اللحظة الأولى ومن الحصة الأولى سارعت باتجاهي تلميذات لتخبرنني أن أخت ختام البالغة من العمر إحدى وعشرين عاما قد استشهدت؟ وكيف؟ قلن: أثناء اجتياح رام الله الأخير قطع

الأكسجين عن المستشفى الذي وضعت فيه أخت ختام مولودها الأول وكان الطفل بحاجة للأكسجين فتوفي على الفور أما الأم فقد أصيبت بجلطة قوية من صدمة الخبر وفارقت الحياة أمس...

فجّر خبر كهذا في قلبي وقلب تلميذاتي بركاناً من الألم.. فلما اتجهت نحو إحدى التلميذات اللواتي انفجرن من البكاء لتكلمني لتخبرني بأي شيء من ذاتها لأحاول التخفيف عنها، لم تقل لي أكثر من كلمات: نعم..ولا..

وفي الصف الحادي عشر تجلس تلميذة باكية على غير عادتها.. تخبرني تلميذة أخرى أن هذا يوم ذكرى الأربعين لعمها الشهيد.. فأحاول ومعي التلميذات التخفيف عنها بكلمات جميلة عن ذكرى الطيبين من أهلنا فتخرج فجأة تلميذة أخرى مسرعة باتجاه الباب إلى خارج الصف فنصعق جميعا وتصدمنا الذكرى بأن من خرجت قد شهدت موت أخيها بين يديها وأب توفي بعد أيام

(3)

لم يقبل «علي» ضعفنا، لم يقبل «علي» نفي أجسادنا، لم يقبل «علي» أن يقف معنا دقيقة صمت على أرواحنا، لم يقبل «علي» كلامنا،وكيف يقبل ولماذا يقبل؟ ومنذ أن عرف الدنيا وهو يرى والديه يطحنان في رحى الحاجة وشقاء المعيشة بينما أرض جده ووالده أمام عينيه يفصله عنها سلك شائك، وجنود تنبعث من أجسادهم رائحة الموت والجريمة وتقطر من بين أصابعهم دماء الأبرياء..... ومنذ كان طفلا حتى غدا أحد أفضل الطلبة في الثانوية العامة في «عين يبرود» لم يعرف «علي» سوى الاستقامة والاجتهاد والهدوء وحب الله والوطن..

وعندما قرر «علي» أن يعمل كما رأى هو لا كما نرى نحن، لم يستأذنا ولم يترك لنا سوى أوراق ومذكرات مدرسية وما تبقى من مصروفه المدرسي، ألقى التحية على كثيرين ممن تواجدوا في المسجد والطرقات وأذهل الأمام بما أصرف من الدعوات.. ثم انطلق ولم يقل سوى: «ربما أغيب غدا عن الامتحان فلدي عملي».. انطلق «علي» بعد صلاة العشاء صاعدا الجبل نحو أرض جده فقطع السلك اللعين واحتضن التراب الحزين ورواه بدمه.....

وعندما أفرج عن جسده وصار فوق أكتافنا.. رجوته في نفسي أن يجيب: لماذا فعلت هذا يا علي؟

لماذا؟؟ مازلت صغيرا؟ لماذا ذهبت وحيدا؟ لماذا لماذا..؟.... أجابني صمته: أنا عندي انتهى الكلام

وفي كل يوم من هذا كثير.. ذكريات مؤلمة وواقع أمر.. فما عاد كلامنا العاجز يصل لقلوب صغارنا..

تتساوى الحياة والموت عندهم.. يثقون بالله وبأنفسهم ولا يثقون بنا إلا نادرا.. كلّ أحلامهم اغتيلت في وضح النهار وعلى مرأى من العالم... فاحذر أيها العالم.. إحذر.. إحذر من جيل انتهى عنده الكلام.....

ربيحة علاّن
مدرسة الجلزون / رام الله

معلم تراجيدي

صباح يوم سبت، الشمس لم تشرق بعد. الطقس بارد جدا، والغيوم السوداء تغطي السماء. تذكرت أنها أمطرت الليلة الماضية، ويبدو أن اليوم سيكون أسودا كما حلمت

استيقظت عند الساعة الخامسة والنصف صباحاً، قلت لنفسي:

«حسنا لدي وقت كاف لتجهيز نفسي للوصول باكرا لمدرستي».

بعد ثلاثين دقيقة كنت أغادر منزلي في سردا بالقرب من رام الله، حاملا أوراقي، فاليوم هو امتحان الفصل الأول لطلابي في الصف الخامس الأساسي. سرت عدة مئات من الأمتار حيث أستطيع ايجاد سيارة تقلني للمدرسة، لكني لم أجد أي منها، وانتظرت دون فائدة.

«يبدو أن هناك حاجزا» قلت لنفسي.

لحظات، ورأيت طابورا طويلا من السيارات.

- ماذا يحدث؟ سألت سائق السيارة.

- كما ترى، انهم لا يسمحون لنا بالمرور. أننا ننتظر هنا منذ أكثر من ساعة.
- هل يمكن المرور سيرا على الأقدام؟
- ولا حتى جواً .

ابتسمت وقلت:

- سأحاول.

وبدأت بالسير باتجاه الحاجز، ورأيت العديد من الناس على الأرض، والجنود الإسرائيليون في سيارتهم العسكرية.

«يجب أن أعود بسرعة، فقد يمكنني ايجاد طريق آخر أمر من خلاله». قلت لنفسي.

بدأت بالعودة وسرت بضعة أمتار..

«انهم يلاحقونك انتبه» قال رجل فجأة.

شعرت بسلاح ينخز رقبتي بقوة، وبيد تشد شعري بقسوة، كان هناك جنود إسرائيليون، سحبني أحدهم نحو الجيب.

- تريد أن تهرب، أليس كذلك؟ قال الجندي.
- أنني معلم مدرسة وأريد الوصول إلى مدرستي؟
- معلم ماذا؟ إرهاب؟، قال بحقد.
- أنا معلم تراجيديا ومعاناة. أجبته.
- تراجيديا شكسبير؟
- لا تراجيديا فلسطينية.

عندها زاد الجندي ـ الذي لا زال يشد شعري ـ من قبضته حتى خيّل لي أن شعري سيخرج بيده، وقال:

- أين هويتك؟
- إنها هنا.

أخذها ودفعني وصاح قائلا:

- اجلس هناك مع هؤلاء الكلاب (قاصدا الناس الجالسين).

جلست على صخرة، وأخذت أفكر بطريقة ما للخروج من هذا المأزق، نظرت إلى ساعتي إنها السابعة والنصف.

جاء الجندي ووجه حديثه إليّ.

- قلت لك أن تجلس على الأرض.
- ولكنها موحلة.

شد شعري مرة أخرى وقال بغضب:

- هذه ليست مشكلتي، أنها مشكلة ربك.

وأجبرني على الجلوس على الوحل.

مرت ساعتان، وجاء جندي وأعاد لنا بطاقات الهوية قائلاً:

«لا أريد أن أرى أياً منكم هنا، اذهبوا إلى بيتكم انه يوم حرّ».

قلت لنفسي بعد أن أخذت هويتي:

الآن يمكنني أن أحاول ايجاد طريقة أخرى للوصول إلى المدرسة».

لم تكن هناك طرقاً أخرى غير المرور بين أشجار الجبل.

«سأحاول هذه المرة» قلت لنفسي.

سرت عدة مئات من الأمتار بين الأشجار، ولكنها بدأت تمطر بغزارة،واصلت السير وعندما اقتربت من

الشارع كي استقل سيارة، عندها رأيت ثلاثة جنود إسرائيليين يجلسون تحت شجرة ضخمة، وحاولت الهرب مختبئا ولكني وقعت، نهضت بسرعة ولكنهم رأوني وأطلقوا قنبلة غاز مسيّل باتجاهي، وركضت بغير وعي، ركضت حتى اكتشفت انهم لا يلحقون بي .

وصلت الشارع أخيرا، أوقفت سيارة، نظر سائقها إليّ باستغراب قائلا:

«ملابسك رطبة، وحذائك كله طينة»

اكتفيت بالنظر إليه ولم أجب، وعندما وصلت المدرسة ورأيت طلابي يغادرون سألتهم باندهاش ممزوج بالحيرة:

- إلى أين تذهبون؟ ولماذا تغادرون المدرسة؟

نظر الطلاب لي، ضحكوا قليلا وأجابوا:

- إنها الحادية عشرة والنصف، موعد الذهاب إلى البيت

.

رامي سليم الحداد
مدرسة ذكور جبع الأساسية
الرام

وعاد التشتت

لليوم الثاني على التوالي، نجتمع في هذه الصالة، إذ نقف إلى جانب والد الشهيد محمود حلوة، الذي سقط دفاعا عن مخيم جنين...نستقبل المعزين الذين يخرقون منع التجول ويجازفون بحياتهم، من أجل تقديم واجب العزاء والمواساة لذوي الشهيد..

القلق والخوف الشديد يعترينا جميعا، فبين اللحظة والأخرى، تجد أحدنا وقد خرج من الصالة ليرقب إذا كان هناك طفلاً في شارعنا المغلق، خوفا على حياتهم من طيش وعبث الدبابات التي تطلق نيران رشاشاتها على كل ما تشاهده في الشوارع... حتى الأكياس الفارغة والبراميل البلاستيكية، لم تنج من نيران رشاشتها...علاوة على أن أعصابنا قد أخذت تتوتر شيئا فشيئا سيما ونحن نتجاذب أطراف الحديث عن المقاومة في المخيم، وكذلك حجم الخسائر المادية والبشرية، نسمع عن حارات تهدم على أصحابها، لكن ليس هناك من رقم واضح يدل على عدد الشهداء الذين سقطوا، ولا حتى من عدد يقترب منه..

وبينما نحن في هذا الحال، دخل علينا رجلان وقد أنهكهما التعب وأكل من جسديهما الكثير الكثير... الجميع وقف مرحبا، وداعيا إياهما للجلوس، وبصوت يكاد يكون غير مسموع همس أحدهم في أذني:

«إنهما من المخيم.. فعلى ما يبدو أنهما تمكنا من الخروج».

قلت له:

«ربما استثمرا فرصة رفع منع التجول».

فأجابني قائلا:

«لكن منع التجول، لم يرفع بتاتا عن المخيم، فما زال ساري المفعول.. ».

قلت:

«إذن لننتظر لنرى ما في جعبتهما.. ».

نهضت، وقدمت لكل منهما فنجان قهوة، والتي شارفت على الانتهاء، فنحن نعاني من نقص في القهوة المطحونة...فلم أتمكن من شرائها بسبب منع التجول.عدت إلى مكاني وكلي شوق لكل كلمة تنبعث من فم أحدهما.. فلربما هذه الكلمة تستطيع تصوير حال المخيم والتي لا نعرف عنها إلا القليل.

غالبية الحضور، تعرفوا إلى الرجلين، لكونهما من المخيم أصلا.. أما أنا والبقية، فلم يكتب لنا اللقاء بهما من قبل... لم يعطهما أبو جمال فرصة للراحة.. فسرعان ماوجه السؤال لأحدهما:

«طمئنا يا أبا أحمد كيف حال المخيم؟ كيف تركتهم هناك؟».

تنفس الرجل الصعداء، أصدر تنهيدة قوية من أعماقه، جميعنا أحس بثقل الهم الرابض على صدره ثم قال:

«المخيم... حال المخيم... قل لي حالك... ماذا يمكنني أن أروي لك... أتصدق إن قلت لك خمسة أيام وأنا مقيد في المطبخ، وزوجتي أمامي لا تستطيع أن تحرك ساكنا.... حتى السيجارة كانت ممنوعة علي، وشربة الماء ما كنت لأحصل عليها، إلا بعد توسلات طويلة حتى هذه ما كانت لتجدي نفعا لولا خشيتهم من هلاكنا عطشا.. لم يكن يروق لهم إلا أن يتناولوا طعامهم وشرابهم على مرأى منا جميعا.. لقد نفذ صبري.. وطلبت منهم أكلا.

«نحن شخصان مسنان، لا طاقة لنا على الجوع والعطش ونحن مدنيان، فلماذا تؤذوننا بهذه الطريقة، لم نقم بأي شيء ضدكم، لماذا تعاملونا هكذا» هل تدري ماذا كانت أجابتهم لنا؟؟ بكل وقاحة وجلافة قال لي:

«أنتم أهل المخيم تتكاثرون بدرجة غير معقولة، ألستم الذين أنجبتم هؤلاء...ألا تسمع...أسمع إسمع جيدا».

«ماذا أسمع» قلت له:

- أليست هذه صوت انفجارات ألغام شبابكم؟.
- ألا تتقي الله يا رجل؟ أليست هذه أصوات دباباتكم وطائراتكم؟؟ التي لا تكل ولا تمل، لا في الليل ولا في النهار...
- ألم أقل لك أنكم وقحون، تغيرون الحقائق...إنك تكذب،أسألك عن أولادك، تقول لي بأنهم خرجوا من المخيم.. وأنا على يقين أنهم مع الإرهابيين في الساحة..
- يا رجل إنّ أصغر واحد في أبنائي يكبرك سنا، وقد قلت لك، بأنهم غادروا المخيم قبل اجتياحكم له.. ولكن دعني أسألك سؤالا هل تحب أن يقيد أحدا أباك؟؟
- وما شأنك أنت وأبي؟؟ أبي لم يكن ولن ينجب قتله إرهابيين.
- وبماذا تصف نفسك؟؟ ألست قاتلا،إنك أكثر من قاتل،من يسيء إلى عجوز مثلي أعزل من السلاح لا حول له ولا قوة، ماذا يمكنك أن تصفه؟؟
- أنا لست قاتلا، ولن أكون كذلك.. أنا ضابط احتياط، وخريج جامعة تل أبيب، هذا واجبي أن أحفظ أمن مواطني دولة إسرائيل، وعليّ القيام به..
- وهل تحفظ أمن مواطني دولتك بتقييدي.. أرجوك. فك قيدي، إن هذا القيد الملعون يؤلمني جدا.
- لن آمن على نفسي منك.
- عجبا،هل أخيفك إلى هذا الحد يا هذا؟؟!!
- أبدا، أبدا، أنت لا تخيفيني، لكن علينا أن نحذر منكم..أنتم أفاعي أما سمعت ما وصفكم به حاخامنا الأكبر... إنكم أفاعي.. ولابد من وضعكم في أواني زجاجية، ضيقة العنق.
- سامحك الله .
- ماذا تقول؟ الله.... وهل تعرفون الله؟؟ الله لنا، لبني إسرائيل.. لقد فضلنا عليكم وعلى العالمين.. أما أنتم، فقوم جبارين..هكذا تقولون.. ولكننا انتصرنا عليكم.. وأبدناكم عن بكرة أبيكم.أما قرأت التاريخ

القديم لهذه الديار؟؟

- أنا أمي... لا أعرف من التاريخ إلا ما حل بي وبأهلي من ويلات ومصائب على أيديكم.
- اصمت.. اصمت..يكفي هذا،لا أرغب في الحديث إليك، إنك ممل للغاية إياك وإصدار أية همسة، سأطلق عليك النار .

غادر المطبخ وتركنا في الجوع والعطش، وبقينا على هذا الحال إلى أن تم استبداله بضابط آخر، لم يكن بأفضل منه كما تمنيت..... حاولت أن أقدم له شكوى ضد زميله بخصوص الممارسات الوحشية اللاإنسانية التي قام بها ضدنا، ظنا مني أنه سينصفني.. كم هذا المتغطرس أثار حنقي وغضبي هذا المتغطرس حينما وجدته يتقهقه مثل مومس.

لم يبال بحالنا ولم يهتم لأمرنا.. فساءت أحوالنا، ولا أدري كيف فقدت أم أحمد وعيها، وجدت نفسي أنظر إليها وهي جثة هامدة، دون حراك،ليس بي من حيلة لأسعفها.. وما يزيد الطين بلة، أنني مقيد اليدين والرجلين.. زحفت على مؤخرتي إلى أن وصلتها.. صرخت.. بأعلى صوتي صرخة هرع جندي على أثرها نحوي صارخا في وجهي:

«ما بك؟ لم كل هذا الصراخ؟».

ودون شعور ووعي مني كنت أصرخ:

«ماتت.. أم احمد ماتت».

«أصمت قلت لك» قال لي بلهجة عنيفة.

- وكيف أصمت ورفيقة عمري تموت أمامي؟
- قلت لك أصمت يا حيوان.

ثم ضربني بكعب بندقيته، أحسست بألمها وكأنها نفذت في ظهري.. ثم تقدم من أم أحمد، رفع يدها، ضغط على معصمها.. لحظات وأحضر كوبا من الماء، ورشه على وجهها أفاقت من غيبوبتها....انفرجت أساريري.. وغمرتني الفرحة.. إنها حية لم تفارق الحياة.. لم تتركني.. فكلانا بحاجة إلى الآخر.. هكذا كنت أحدث نفسي..حتى سألني:

- ما بها؟! أهي مريضة؟.
- لا، إنها ليست مريضة.. ولكننا ومنذ خمسة أيام لم نتناول أكثر من رغيف خبز يوميا وشربة ماء كل ثمان ساعات.

هز رأسه، لا عليك، سأحاول مساعدتك، وعلى مسئوليتي الخاصة ولكن إياك أن تفعل شيئا يضرنا ، لن يسامحني الضابط المسؤول، وذهب..... غاب بضع دقائق،ثم عاد وفي يده رغيفا من الخبز الإفرنجي وعلبة تونة، وطلب منا أن نتناولها..

- كيف آكل وأنا مقيد اليدين؟؟
- لن أستطيع فك قيودك، لكنها تستطيع أن تأكل وتطعمك بيديها.. سأغلق عليكما الباب. تناولا الطعام بسرعة. وإياكما أن تذكرا هذا للضابط.

همست محدثا نفسي.. على ما يبدو إنك ابن حلال.. واستمر الحال على ما نحن فيه إلى ظهر هذا اليوم، إذ دخل علينا ضابط جديد،خيّرنا بأن البقاء في منزلنا على هذا الحال أو مغادرته.. ودونما أدنى تردد، فضلنا المغادرة على هذا العذاب. فأختي تسكن في جنين، والوضع لديهم سيكون أفضل بكثير مما هو عليه في الخيم.

وعندما خرجنا من المطبخ ودخلنا إلى الصالة في طريقنا إلى غرفة نومنا،وجدنا العجب العجاب....عبث، وتخريب، وتدمير، طقم صالون جديد.. يتألف من أربعة عشر مقعدا.. لم يمض على شرائي له شهران قطعوه بالشفرات إربا بحجة البحث عن سلاح.. خزانة الملابس، ثمنها خمسمائة دينار، فقاموا بتفكيكها ورميها دون شفقة أو رحمة..... لم كل هذا؟؟ أهي ضريبة البقاء والصمود؟ لا نملك إلا أن نخرج من المنزل.. لقد عاثوا فيه فسادا ولم يعد يريبنا أن يفعلوا أكثر مما فعلوا.

لم نكد نبتعد سوى أمتار قليلة.. حتى صادفتنا دورية عسكرية مكونة من دبابتين ومجنزرة، صرخوا علينا ورشاشاتهم مصوبة نحونا:

«ارفعوا الأيادي إلى الأعلى».

وهل نملك إلا الامتثال.

«اكشف عن بطنك».

كشفت له عن بطني... ثم أمرنا أن نتوجه عبر الشارع المؤدي إلى مدرسة الوكالة. سرنا في الشارع المكتظ بالدبابات والآليات العسكرية.. احترت كثيرا وتساءلت:

«أيعقل أن تكون كل هذه الآليات للمخيم»

وأجبت نفسي:

«ولم لا؟ فعلى ما يبدو أنهم صمموا على مسحه من الخريطة الجغرافية».

أم احمد لم تسعفها خطواتها ولم تساعدها حالتها على المشي.. فهي تعبة إلى حد الإجهاد. فمشيتها بطيئة جدا... لا أملك إلا أن أشجعها بالقول:

«لقد وصلنا يا حاجة.. لم يتبق إلا القليل».

وبشق الأنفس وصلنا إلى ساحة المدرسة لنجد الجموع من الرجال جالسين القرفصاء رابطين أكفهم على أعناقهم،في مشهد ذل نافر في تلك اللحظة قلت لنفسي:

«ما الذي أخرجني من المنزل.. لعمري إن بقائي مقيدا في المطبخ أفضل بكثير من هذا الحال».

وعلى صوت أحد الجنود، صحوت من حلم أخذني إلى المنزل، طالبا مني الانضمام إلى هذه المجموعة المعذبة في جنين وطلب من زوجتي والنساء هناك أن يتابعن سيرهن إلى حيث يردن؟ ظل الحال هكذا ساعات.. لم يتركونا وشأننا إلا بعد فحص تام لهوايتنا الشخصية لم يستثنوا من الفحص شابا أو كهلا.. في الوقت الذي أنهوا فيه فحص الهوايات أفرجوا عن البعض وأنا منهم... بينما اقتادوا البعض الآخر مشيا على الأقدام صوب بئر البلدية القريب من السعادة.. أما أنا يا أخي، فالتقيت هذا الرجل المسكين الذي ما زال يعاني من صدمة الذهول، حاولت أن أعرف منه شيئا عن مصابه، لكنه شارد الذهن، لم يستجمع قواه العقلية.. لم أتمكن من الحصول على شيء منه.. أنظر إليه.. السيجارة تلو الأخرى،لم تنبس شفتاه ولا بكلمة واحدة..

- كان الله في عونه.. وفي عونك.. وفي عون الجميع.
- ولكن يا أبو جمال ها هو التشرد والتشتت يعود إلينا من جديد.. ففي عام 1948 أخرجت هكذا

ببنطال وجاكيت.. وكذلك في 1967 واليوم الصورة تتجدد، اليوم أخرج من منزلي فقط ببنطالي وهذا الجاكيت.. الله أكبر.. الله أكبر على كل من طغى وتجبر.

- الصبر. الصبر. يا حاج.
- اللهم اجعلنا من الصابرين.

عمر أمين أبوالرب
مدرسة الطيبة الاساسية
جنين

الجزء الثاني

معاناتنا اليومية

لن أتحدث عن مأساة ومعاناة امتدت على مدى أربع وخمسين سنة لشعب لم يقترف ذنبا ولا جريمة.... كل ما أراده ويريده أن يعيش على أرض وطنه حرا كريما أسوة ببقية شعوب العالم. أن أتحدث عن مأساة ومعاناة هذا الشعب المناضل لن تكفي سطورا في صحيفة فهذا بحاجة إلى موسوعة تسرد فيها الحقائق التاريخية، وما لحق بهذا الشعب من ظلم وجورعلى أيدي محتليه الجلادين... تلك المأساة التي غضت أعين العالم البصر عنها.. لاعتبارات المصالح السياسية والتحالفات العالمية... لا أدري كيف لا يخجل الضمير الإنساني العالمي عندما يرى جيش الاحتلال يغير بدباباته وطائراته الحديثة... على شعب أعزل ... في بيته، أو مدرسته، أو مصنعه... وعلى أرض وطنه التاريخي .. وعندما يقاوم الاحتلال يوصف بالإرهاب يبدو لي أن مفردات اللغة قد خرجت عن سياقها ومضامينها في زمن القطب الواحد.. لن أطيل الحديث ... فليبدأ الحديث عن الزمن القريب لا البعيد.. زمن المعاناة... زمن تراجيديا الروايات اليومية على الحواجز العسكرية الإحتلالية التي تدوس كل القيم الإنسانية بحجة الأمن والأمان... والدفاع عن النفس... لا أدري من الأحرى بالدفاع عن النفس الاحتلال؟!.. أم الذي وقع الاحتلال على أرضه.. وإنسانيته، وطموحاته وآماله.

معاناة

كنت سعيدة جدا عندما تسلمت وظيفتي الجديدة في مديرية التربية والتعليم كمشرفة تربوية عام 98 بالتحديد في شهر أيلول منه ... كنت أذهب إلى عملي الجديد مليئة بالنشاط والهمة.. لا سيما وأن العمل مقدس بالنسبة لي... لم أكن أحتاج لأكثر من عشرين دقيقة للوصول إلى مركز عملي ... ولكن بعد سنتين بالتحديد... انقلبت الهمة والنشاط إلى ما يشبه الإحباط القاتل .. عندما فرض علي واقع جديد... بحيث أصبحت مضطرة للوقوف على الحاجز العسكري ذهابا وإيابا.. أخضع للتفتيش والمساءلة أنا وأسرتي التي ترافقني كل إلى عمله أو مدرسته .

أذكر بالتحديد يوم 30 أيلول من عام 2000 أي بعد بداية انتفاضة الأقصى بثلاثة أيام، كلفت بالذهاب إلى مدينة رام الله لحضور اجتماع عمل ... ومن المعتاد أن تستغرق المسافة بين جنين ورام الله ساعة ونصف بالسيارة .. ولكن للأسف وصلت الساعة الحادية عشر ظهرا علما أنني خرجت من منزلي الساعة السادسة والنصف صباحا ... حتى أنني تعرضت للتفتيش ست مرات أثناء الذهاب من جنين إلى مدينة رام الله... وبعد هذا العناء لم أستطع حضور الاجتماع وقفلت عائدة إلى حيث كنت لعدم تمكني من دخول مدينة رام الله.

معاناة أخرى

يوم لا أنساه محفور في الذاكرة.. كان السبت الأول من شهر تشرين الأول عام 2000 ... عندما حملت معي في السيارة رزمة من الأوراق المعدة لدورة تدريبية مخصصة لمعلمي ومعلمات الصف الأول الأساسي... والتي كان من المقرر عقدها في ذلك اليوم. وصلت إلى الحاجز العسكري المعتاد – الدائم والمستمر– فلم يسمح لنا بالمرور ... بكلمة واحدة من الجندي اليوم...«سيغر» أي إغلاق باللغة العبرية .. لم يسمح لنا بالتحدث معه لشرح الظروف المرافقة لسفرنا .. عندها حاولنا الخروج من طريق أخرى – قرب قرية عانين – وقد كان الطريق خاليا من الجنود المتمركزين على برج المراقبة .. وقد هيئ لنا أن الطريق آمن... فما كان منا وانطلاقا من حرصنا للوصول بسرعة لعقد الدورة،إلا أن أطلقنا العنان

للسيارة لنتجاوز بعض الحواجز البلاستيكية الحمراء الموضوعة على جانبي الشارع.... لكن سرعان ما فوجئنا بخروج ما لا يقل عن ستة جنود مدججين بالسلاح من بين أشجار الزيتون الكبيرة يشهرون السلاح ويشتمون باللغة العبرية والتي نوعا ما أستطيع فهمها والتحدث بها، فكان من التعليمات التي فهمتها ووجهت لنا أنتم قتلة ومجرمون.... وبادر الجندي زوجي قائلا:

«لو كنت وحدك لقتلناك».

وبعد مشادة كلامية عدنا نبحث عن طريق ثالث نسلكه ... كان الاتجاه هذه المرة غربا داخل الخط الأخضر،لم نكد ندخل خط التقسيم حتى لاحقتنا سيارات عسكرية أوقفتنا... وطلب منا الجنود الرجوع مهددين بدفع غرامة مالية... كانت أحداث هذا اليوم متسارعة وذات طابع متميز بالمغامرات... استمرت حتى الساعة التاسعة... حتى تمكنا في النهاية من سلوك طريق ترابي سيرا على الأقدام نحمل الملفات والأوراق .... لنستقل سيارة أجرة بعد أن دفعنا مبلغا لا باس به لنصل إلى عملنا .. وقد بدت علينا علامات التوتر والإرهاق.

والمعاناة تستمر....

الزمان: شهر كانون الثاني من عام 2001 .

المكان: ليس محددا بالضبط... بل عدة أماكن تباعدها المسافات.

الشخوص: راوية المعاناة... أبناؤها، وزوجها.

تلك الأسرة الشقية المعذبة... قدرها أنها أسرة فلسطينية.. لم تولد في بلاد الضباب.. ولا في بلاد العم سام .. لتأكل الهامبرغر... وتتمشى على »ميامي بيتش« هذه الأسرة كبقية الأسر الفلسطينية تكدح وتعمل.. لبناء نسيج أسري متكامل يخدم مجتمعه ووطنه.. أسرة ليست إرهابية حسب «الوصف الأمريكي»، فهي لا تحمل سوى طموحاتها وآلامها التي سببها لها الاحتلال الغاشم.

بدأت فصول الدراما عندما خرجنا للعمل صباحا ... وعند الحاجز العسكري اللعين لم يسمح لنا بالتجاوز بحجج واهية كاذبة.. وقفنا أمام الحاجز أكثر من نصف ساعة.. نحاور الجندي المناوب بضرورة

ذهابنا للعمل... وذهاب أبنائنا إلى مدارسهم . وراءنا وقفت سيارات تقل طلبة وموظفين من السكان الفلسطينيين في المنطقة،لم يستطع أحد منا إقناعه بعدالة حقنا في المرور عبر الحاجز... ومما كان يغيظ وبسبب الألم والإحساس بالظلم والمرارة، أن الفلسطينيين يُمنعون من الحركة داخل وطنهم في حين ترى في الاتجاه المعاكس ... سيارات المستوطنين الفارهة.. التي تحرسها وتحميها السيارات العسكرية... أماما وخلفا... وعندما نعترض ونقول:

«لماذا لا يسمح لنا ويسمح لكم بالذهاب إلى العمل بحرية».

يرد عليك الجندي بوقاحة:

«أنتم مخربون».

كانت محصلة المداولات مع الجندي أنه لم يسمح لأية سيارة باجتياز الحاجز العسكري. عدنا ومن رافقنا في السيارات الأخرى للبحث عن طريق بديلة.. وقد اهتدينا إلى طريق ترابية وعرة... بعيدة عن أعين الجنود ... لكن للأسف لم نستطع الوصول مباشرة إلى مدينة جنين من خلال الطريق المعتادة... بل اضطررنا أن نسلك طريقا تصل إلى مدينة طولكرم والتي تبعد عن جنين ما يقارب 45 كيلومترا ثم العودة ثانية إلى مدينة جنين... والتي بينها وبين الحاجز العسكري 15 كيلومترا .. وكان مجموع المسافة التي قطعناها ذلك اليوم 70 كيلومترا في حين كنا نحتاج فقط 15 كيلومترا للوصول إلى مركز عملنا .. وبعد هذه الرحلة المضنية التقينا أبناءنا الثلاثة الذين اضطروا للبقاء في مدينة جنين عند الأقارب لاستكمال امتحاناتهم المدرسية الفصلية.

ليس للمعاناة نهاية...

كانت الساعة السادسة والنصف صباحا يوم 26 آذار عام 2002 عندما أوقفونا على الحاجز العسكري اللعين والذي على جانبه الأيسر دبابتان مقيمتان، وعلى جانبه الأيمن معسكر وبرج مراقبة، ومن المظاهر المألوفة على الحواجز ... إخراج الرجال من السيارات وتفتيشهم جسديا.. والتدقيق في هوياتهم.. وهذا ما حصل أُنزل أفراد الأسرة الرجال وتمت الإجراءات المعتادة.. وسمح لهم بعد ذلك بالجلوس في السيارة ... كنت أجلس في المقعد الأمامي.. وأبنائي يجلسون في المقعد الخلفي.. نظرت

إلى الجندي فإذا به يصرخ باللغة العبرية... على ابني الأصغر والذي يبلغ من العمر سبعة عشر عاما ويهدده بإنزاله من السيارة وإجباره على السير مشيا على الأقدام بحجة أنه يضحك.. والحقيقة أنه كان يتحدث مع شقيقه الجالس إلى جانبه، واستمر في الحديث دون أن يفهم قصد الجندي.

حاول إنزاله مرة أخرى للسير مشيا.. حاولنا بصعوبة إقناع الجندي أن ابني لا يفهم اللغة العبرية ... وهو يتحدث إلى شقيقه بشكل طبيعي وعادي... هذا أمر لا يصدق، أن يمنع الناس التعبير حتى عن مشاعرهم الطبيعية الفطرية.

ما تم عرضه من معاناة... يومية... ليست هي الأبرز في الحدث اليومي الروتيني ... ولكن هذه المعاناة ليست إلا نقطة في بحر المعاناة اليومية... لأسرة من آلاف الأسر التي قد تعاني الأسوأوالأمر .

تسير المعاناة نحو ألم لا نهاية له..... لا أستطيع الحصر... لأنها أصبحت كالقوت اليومي ... أن تسمع غير أن ترى.. تبقى الحقيقة .. حقيقة وجه الاحتلال البشع.. والذي يحاول دائما أن يزينه دون فائدة.. وعلى الآخرين أن يتحروا هذه الحقيقة بشتى الوسائل والسبل... لذا ادعوا المهتمين بقضايا الإنسانية .. أن ينزلوا إلى ساحة المعاناة... هذا ليستقوا الحقيقة بكافة حواسهم.

وتستمر فصول المأساة والمعاناة.. إن لم تكن على حاجز عسكري... ستكون في موقع آخر... في البيت .. أو في المعتقل.. أو في المسجد .. أو في الشارع العام... أو في غرفة النوم ... لا أبالغ.. فالمعاناة تلحق كل فلسطيني... بغض النظر عن عمره وجنسه وأفكاره ومعتقداته.. المعاناة تلاحقه كالقدر... المعاناة تستمر... والحياة أيضا تستمر...

الحياة لم يهبها الاحتلال حتى يوقفها.. إنها هبة الخالق يوقفها متى شاء... الشعوب المناضلة لا تقهر وهذه حتمية تاريخية .. ولكن العبرة لمن اعتبر من التاريخ من ساسة الاحتلال ومهندسي قراراته...

بودي أن تترجم كلماتي المكتوبة ليس بلغات العالم المختلفة ... ولكن أن تترجم إلى لغة واحدة... هي لغة الضمير .. والتي يبدو أن أحدا لم يعد يتحدث بها.

آمنة محاميد زيد الكيلاني
مشرفة بمديرية التربية والتعليم / جنين

بين المطرقة والسندان

تدور الأرض حول نفسها ويتعاقب الليل والنهار في تسلسل منطقي يقر به العقل والدين، وهكذا هو حالِي حين أدور في دورتين هما أصغر من دورتي الأرض حول نفسها وحول الشمس. إذ تبدأ دورتي الأولى في طريقي للمدرسة، ويشغلني كيف سأعود بعد الظهر للبيت. وتبدأ الدوامة الثانية بلا انتهاء حينما أعود منهكاً آخر النهار ويدور في رأسي الخيال الذي لا يألفه الواقع: «كيف سأصل في الصباح للمدرسة» .

و ما أضيق الحياة إذ تُسجن الأفكار في حلقتين كالذهاب والعودة أو في رحلتين: كرحلة الشتاء و الصيف في جزيرة العرب. هل أسميهما رحلة الذهاب ورحلة العودة . إنها حقاً رحلة وأشطب هنا من ذهني تصوري للنزهة، فهي أقرب إلى رحلة العذاب، أو كأنها دورة في التدرب على الاستغناء عن سيارات الأجرة والسير عبر الأودية والحُفر واجتياز السواتر الترابية والجُدر الإسمنتية وحتى الأسلاك الشائكة والتملص من دوريات الحراسة وإن كنت محظوظا تنتظر دورك في صف وطابور طويل وهو بلا شك عريض، كي تُفحص بطاقة هويتك كل مرة وتمر عبر حاجز أضاف مرادفة جديدة لقاموسك السياسي بالإضافة إلى كونك معلم همه وهو في المدرسة أن يعود سالماً لبيته وهمه وهو في البيت أن يصل سالماً مبكراً لطلابه.

في إحدى المرات سألني زميلي:

«لماذا نسير كل هذا المسير عبر الجبال و الطرق والقرى للوصول للمدرسة ؟» .

و كان يقصد أو يقترح أنه من الأفضل لو اجتزنا الأسلاك التي تفصل الرام عن رام الله بدلاً من الالتفاف عبر القرى والطرق الوعرة والنزول من سيارة واستقلال سيارة أخرى بعد قطع مسافات ليست قصيرة ركضاً أو هرولة خوفاً من قدوم جنود الدورية .

قلت لزميلي:

«أنها أصبحت مسألة حياة أو موت، و ليس الأمر أن الجندي الإسرائيلي سوف يضربك ضرباً مبرحاً لأنك اجتزت الأسلاك، بل سيُطلق عليك الرصاص في مقتل و يُحبط بذلك محاولة للقيام بعملية تخريبية كما سيذيع راديو إسرائيل».

ولا يدور الحديث هنا عن الحق في التعليم أو الحق في التنقل بل صرنا دون وعي منا نطلب الرجاء في الحفاظ على حياتنا و كأنه يكفينا أننا مازلنا أحياء أو معلمون مع وقف التنفيذ.

وكم من المرات لم أتمكن من الوصول لطلابي بسبب الإغلاق والحواجز، وكم من المرات دارت بي الهموم بشأن هذا الجيل الذي يتوق للمعرفة أضعاف مما يتحمل المعلم من ضائقة الحالة الاقتصادية والوضع الراهن الذي قطّع كل شيء و الذي سلب منا أبسط الحقوق والكرامة.

و هل حقاً ما يقوله الطلاب في هذا المقام:

قم للمعلم وفيه التبجيلا كاد المعلم أن يكون شهيدا

و أصدقكم القول أني كتبت هذه الكلمات و كلي انشغال في كيفية وصولي للمدرسة في المرة القادمة.

أ/ وائل فيومي
مدرسة بيت عور التحتة
الرام

جرائم حرب

في بداية محاولاته لدخول مخيم جنين، لم يتمكن الجيش من فعل ذلك، وبعد أيام من القصف استطاع الجيش الإسرائيلي الدخول لبعض حارات المخيم،وتم نشر القناصة الذين يحملون الموت في بيوت كثيرة،مما أجبرنا على الالتزام داخل بيوتنا وعدم مغادرتها. وفي مساء يوم الجمعة 2002/4/5 طلبت مني زوجتي البحث عن علبة حليب في الطابق الثاني من البيت، وهو بيت أخي الذي غادره خوفا من اقتحام المخيم فقد كان عندي طفل رضيع عمره أسبوعان، وزوجتي بسبب الخوف فقدت القدرة على إرضاع طفلنا.

وخرجت من بيتي، وأثناء وقوفي استعدادا للدخول إلى الطابق الثاني (وكنت ما زلت على الدرج) أطلقت مروحية الأباتشي صاروخا اخترق الجدار الغربي لبيت أخي ودخل من باب غرفة النوم، ثم اخترق حائط المطبخ،وأصبت بشظية من شظايا الصاروخ أثناء انفجاره،في هذه اللحظة شعرت بأنني قد سحبت إلى أعلى بسبب تفريغ الهواء الذي أحدثه الصاروخ، ثم سقطت إلى أسفل فأصبت بشظايا الصاروخ وكسرت رجلي اليسرى بعد ذلك تفقدت نفسي حتى أعلم ماذا حدث وعلمت بعد ذلك أن رجلي فقط هي التي أصيبت، فأمسكت برجلي وقد أخذت الدماء تنزف منها بشدة ثم أخذت أنزل الدرج بصعوبة وأنا أصيح وأصرخ طالبا المساعدة،عندها حضرت أمي وزوجتي وساعدتاني على النزول إلى الطابق الأول.

أخذ أطفالي وبناتي يصرخون ويبكون من المنظر الذي رأوه، فطلبت منهم عدم البكاء خوفا من أن يسمع الجيش الصراخ ويدخلون المنزل، قمت بالاتصال بالمستشفى وقسم الإغاثة الطبية في جنين والهلال الأحمر، وحضرت سيارات الإسعاف ولكن على بعد عشرين مترا من المنزل حال الجيش دون وصولهم للمنزل، وقاموا بإعادة سيارات الإسعاف وتكسير بعضها، حينها قمت بالاتصال مرة ثانية بالمستشفى، وأخبروني أن الجيش الإسرائيلي قام بمنع سيارات الإسعاف من الوصول إلى مكاني، وأخبرني بعض الأطباء الذين لي علاقة شخصيةمعهم، أنه يجب أن أستمع لنصائحهم عبر الهاتف حتى أبقى على قيد الحياة،فقاموا بتقديم النصائح الطبية لي حيث أنني كنت احتفظ بأدوات الإسعاف الأولي لإنقاذ حياة الناس والمصابين إلا أن هذه المرة كنت أنا من يحتاجها لإسعاف إصابتي، فاستعنت بزوجتي وأمي لتطبيق النصائح التي أملاها علي الأطباء عبر الهاتف وقد قضيت ليلة عصيبة حيث كان الألم شديدا والنزيف لم يتوقف رغم الإسعافات التي قامت بها زوجتي وأمي.

وفي اليوم التالي 2002/4/6 الساعة الرابعة فجرا قامت فرقة من الجيش بدخول البيت عنوة، حيث فجروا الباب الرئيس بعبوة ناسفة، ودخلوا البيت وأخذوا يضربون الأبواب الخشبية بالرصاص والأقدام، عند ذلك طلبت من أمي أن تقوم وتفتح لهم باب الصالون ولو أنها ذهبت إلى الباب الثاني لكانت استشهدت بسبب إطلاق النار الشديد على الباب، وقاموا بتكسير الباب الثاني ودخل اكثر من 50 جندي وقد أخذوا أمي رهينة معهم بمعنى «درع بشري» حتى تقودهم إلى الطابق الثاني والثالث .

وبعد ذلك عادت أمي إلى الغرفة التي كنت أنا وعائلتي متواجدين فيها، كانت أمي تعاني من مرض القلب وعندما وصلتنا كانت مرهقة بسبب صعود الدرج،عند ذلك سألني أحد الجنود:

«هل أمك مريضة؟؟».

قلت له:

«نعم إنها مصابة بالقلب».

بعد ذلك لم يسألني أي جندي عن سبب إصابتي التي كانت تبدو للجنود الذين كانوا يتجولون في المنزل وفي الغرفة التي أنا فيها.

وبعد خمس دقائق من تواجد الجنود داخل المنزل الإسعاف، طلبت منهم أن يساعدوني ويقدموا لي الإسعافات حيث أنني كنت أعلم أن كل فرقة من الجنود معهم طبيب،في بداية الأمر رفضوا ذلك،أخذت

أصرخ وأتألم وأطلب المساعدة حتى أتى أحد الجنود وسألني عن سبب إصابتي فأخبرته أن أحد الصواريخ سقط على المنزل وأنني جرحت بسبب ذلك. وبعد ذلك جاء جندي آخر يسألني أسئلة استفزازية ويقول لي:

«أين السلاح الذي كنت تقاوم به؟ وأين أخفيته؟ هل أنت فتح أم حماس أم جهاد إسلامي؟» فأخبرته أنني معلم في وكالة الغوث وعرضت عليه الهوية وبطاقة الوكالة إلا انه قلبّها ونظر إليها ولم يهتم وتحدثت أمي مع أحد الجنود وطلبت منهم مساعدتي، فحضر جندي يحمل على ظهره حقيبة وأخبرني أنه الطبيب إلا أن أحد الجنود قام بتفتيشي خوفا من أن أكون مسلحا أو أحمل حزاما ناسفا، وبعد شعوره بالاطمئنان أخبرني انه طبيب واسمه «أيلي» وهو يسكن في مدينة حيفا ومن فرقة ناحال، وقام بتقديم إسعافات أولية لي حيث قام بربط ساقي، وأخذ يتحدث مع زوجتي باللغة الإنجليزية وأخبرها انه يريد الهدوء في المنزل حيث أدركت أن الإسعافات كانت لشراء سكوتنا وهدوئنا لأنهم أرادوا أن لا يعلم أحد بوجودهم داخل البيت، وذلك كي يحضروا لكمين.

وبعد أن شعر المقاتلون داخل المخيم بمكان وجودهم أخذوا يطلقون عليهم الرصاص والعبوات الناسفة، فاشتعل بيت جارنا، وبسبب خوفنا على طفلنا الذي لم يتجاوز الأسبوعين من العمر، طلبت زوجتي من الجندي أن يطفئ النار عند الجيران وإلا امتدت إلى بيتنا، إلا أن الجندي رفض طلبها وأجبرها على الذهاب إلى الصالون وبقي الجنود داخل المنزل حتى الساعة العاشرة صباحا،بعد ذلك قام الجنود بقطع أحد الشبابيك المطلة على الطريق والخروج من الفتحة إلى البيوت المجاورة، وبقي الوضع في المنزل على ما هو عليه حتى تاريخ 4/10، حيث عشنا ساعات القصف والدمار بالطائرات والدبابات طوال فترة الاجتياح، ويوم الأربعاء الموافق 4/10 خرج الناس من بيوتهم بشكل جماعي، عند ذلك أخبرتني أمي أنه لا بد لنا من الخروج فطلبت منها إحضار سلم خشبي وأن تضع فوقه فرشة لحملي خارج البيت، وقام بعض الشباب من المخيم برفعي وانطلق بي الشباب إلى المكان الذي طلب الجيش من الجميع التجمع فيه.

كان ما يجري هناك في غاية الوحشية، فقد أجبر الجنود الشباب تحت تهديد السلاح من سن 15 ولغاية 65 التعري، حتى النساء طلبوا منهن خلع المناديل، فطلبت من جارنا أن يخبر الجندي بأن الشمس حارة ولا أستطيع أن أبقى تحت الشمس، رفض الجندي ذلك، وبعد ساعة أو ما يزيد قام أحد الجنود بالطلب من شابين رفعي ووضعي في مكان بالقرب من أحد المحلات التجارية، وفي هذه اللحظة سمعت أنين أحد المصابين والذي كان قد أصيب برصاصة في صدره، حيث كان يعاني من ألم شديد ونزيف،وقرابة الساعة الواحدة ظهرا جاء أحد الضباط فأخذت أصيح وأنادي عليه وأخبرته أننا مصابون ولا بد من نقلنا

لتلقي العلاج، أعطيته بطاقة الهوية وأبلغته أنني معلم في وكالة الغوث، فأخذ يسألني بعض الأسئلة ليتأكد من صحة إصابتي، وبعد أن أخذ الهوية وفحصها عبر الكمبيوتر أخبرني أنه بعد ربع ساعة ستحضر سيارة الإسعاف، إلا أن ذلك كله كان كذبا، فتلك الفترة استمرت حتى الساعة التاسعة مساءا، ثم اتصل جندي بسيارة إسعاف عبر ضابط الارتباط في عرابه، وما أن حضرت سيارة الإسعاف حتى شعرنا بالأمل أنا وزميلي المصاب الذي يرقد بجانبي.

أوقف الجيش الإسرائيلي سيارة الإسعاف أمام مدرسة الزهراء والتي تبعد عنا 200 متر، ثم أنزلوا الطبيب والمساعد وطلبوا منهم خلع ملابسهم وتفتيشهم، وبعدها سمحوا لهم بإحضار نقالة من سيارة الإسعاف، حاولوا حملي أولا، ولكني طلبت منهم نقل زميلي لشدة إصابته وأنه متعب أكثر مني، وبعد نقل زميلي عادوا لحملي وتم نقلنا نحن الاثنين بسيارة واحدة، وعندما وصلنا باب المستشفى رفض الجيش والذي كان قد تموضع أمام المستشفى إدخالنا إلى المستشفى وأخذوا يحققون معنا عن إصابتنا، كيف أصبنا؟ متى أصبنا؟ كيف حضرنا إلى المستشفى؟ ومن اتصل بالهلال لنقلنا إلى المستشفى؟ فأخبرهم طبيب الهلال بأنه تلقى مكالمة هاتفية من ضابط الارتباط في عرابه واسمه كابتن عادل، إلا أنهم أخذوا الأمر على غير عادته وأمروه أن لا يحضر غيرنا من المصابين، وبعد أن أدخلت إلى المستشفى أخبرني الأطباء انه قد تم تسجيل اسمي في قائمة الشهداء، لأنه ليس من المعقول أن يعيش إنسان بقي ينزف طوال سبعة أيام متواصلة، وكانت المفاجأة حين علمت أنني أول الجرحى الذين يصلون المستشفى منذ بداية الأحداث وأجروا لي ما يلزم من الإسعافات الأولية وفي اليوم التالي تم إجراء العملية الجراحية .

أقمت في المستشفى لمدة أسبوعين بعد ذلك تم تحويلي إلى مستشفى الناصرة، حيث أجريت لي عملية جراحية أخرى، وكما أخبرني الأطباء بأن عمليتي كانت كبيرة وخطيرة،

جهاد محمد ياسين حسّان
مكان السكن: مخيم جنين المدمّر
مدرسة قباطية الأساسية للذكور

فلسطين

بدأت رحلتنا مع الزمن بدعاء ركوب الباص... وتمتمات هنا وأخرى هناك... وأمل يعتصر لحدوث شيء ما... ومشينا سهولا وجبالاً والشمس ساطعة، وأياما أخرى مطر يبلل كل مكان.

سأروى لكم قصة معلمة اسمها فلسطين عانت وتعبت لتصل قرية أوصرين.

فلسطين أنا وأتحدى كل الغاصبين

سأزرع العلم بذرة لأشبال عانت آلام السنين

في أحد الأيام خرجت من مدينتي الحبيبة نابلس متجهة إلى قرية أوصرين برفقة بعض الزميلات، لا ندري ماذا سيكون مصيرنا في ذلك اليوم، بدأت خطواتنا تتسارع عند الحاجز العسكري قرب حواره، وإذا بطلقات النيران تتطاير فوق رؤوسنا، ارجعوا من حيث أتيتم، ممنوع الدخول!!! وعدنا بخيبة أمل كبيرة وقررنا الذهاب من طريق تل (طريق ترابية فرعية) تسلقنا الجبال، ومشينا بعض الأمتار للوصول إلى حاجز زعترة، الجميع مر من خلال الحاجز إلا أنا (فلسطين) ممنوع الدخول... لان اسمي فلسطين... الجميع وصل القرية إلا أنا... ارجعي من حيث أتيت... حاولت وحاولت... لكن دون جدوى... ومن بعيد

رأيت زميلة لي اسمها حنين، تعاني نفس الألم، قررنا عدم الاستسلام وقمنا بالتوجه إلى القرية عبر الطرق الالتفافية حتى وصلنا وشارفت الساعة العاشرة والنصف صباحا،

لا أستطيع أن أصف لكم كيف كان اللقاء، كان حاسما جدا... فقد وصل الجميع منذ ساعتين... «أين أنت؟»

بكيت وبكيت ودخلت صفي باكية متعبة ولكن متحدية للجميع، لم ينتهي الأمر بعد كيف سنرجع اليوم، والطريق لا يعلم بها إلا الله، طريق زعترة مغلق تماما، حاولنا الالتفاف من بعض القرى ولكن بدل أن نقترب من المدينة، كنا نبتعد عنها، كنا نركب تارة ونمشي أخرى، حتى وصلنا إلى طريق تل، أصبحت الساعة الرابعة عصرا لكن ماذا هناك، دبابات تمنعنا من الدخول كلما حاولنا تسلق الجبل كانت زخات الرصاص تطلق علينا، لا أستطيع أن أصف الوضع، مرهقين، جائعين، نعم جائعين!!! لقد قمنا بقطف أوراق الزعتر وأكلناها، فمنهم من معه قطعة خبز، والأخرى حبة بندورة، وأخرى حبة تفاح، ولا ندري كيف ستكون نهاية هذا اليوم، رغم كل الألم إلا أننا ضحكنا وارتفعت أصواتنا بالغناء،علنا نزيل هذا الهم الكبير، أنها رحلة طويلة لا تبدو لها نهاية ... هل سننام في الجبل ... الجميع يتصل:

«أين وصلتم؟؟ ماذا حدث معكم ؟؟.

(صوت أمي الباكية من خلال الخلوي):

«فلسطين... لا تتهوري، كوني صبورة».

لكن للصبر حدود،أي صبر هذا والساعة الآن السادسة مساءاً، ومن بعيد رأينا فلاحا يسير على حماره الصغير فسرنا وراءه دون أن ندرك نهاية المسير، لا أستطيع المشي... قدماي تؤلماني... لن أنسى هذا اليوم... لقد وصلت متعبة... مرهقة ... جائعة... متلهفة إلى النوم.

وفي الصباح استيقظت على رنة الهاتف، إنها زميلتي حنين لقد فقدت جنينها بعد انتظار دام أربع سنوات.

وتستمر المعاناة.....

نسرين سعيد الخليلي
مدرسة بنات بيت ايبا الأساسية / نابلس

عقدية إجرامية

(1)

في شهر رمضان الماضي وأثناء عودتي من المدرسة قام جنود الاحتلال بضرب السائق وتهديده بإطلاق النار عليه إذا لم يرجع وبسرعة إلى قرية عزون من حيث قدمنا، واستمر الجنود بمنع حركة السير بالاتجاهين حتى ساعات المساء المتأخرة، وطوال هذا الوقت ونحن ننتظر في عزون وبعد أن وصلنا إلى حالة اليأس، قمت وزميلين باستئجار سيارة لتوصلنا قبالة بلدة كفر لاقف واتصلنا بسيارة عمومي لتنقلنا عبر طريق وعرة، وفي النهاية تمكنّا من الوصول للبيت وقت الغروب.

(2)

في صباح لا أذكر تاريخه، تابعت سيارتنا قوة عسكرية مكونة من سيارتي جيب من وسط بلدة عزون حتى وصلنا إلى منطقة تتوسط الطريق بين كفر ثلث وعزون،هناك وجه إلينا الجنود عبر مكبرات الصوت

أمرا بالتوقف، وحينما فعلنا ذلك قام الجنود بالاعتداء على سائق السيارة بالضرب بحجة أنه رفض التوقف،علما بأن هذا افتراء،هذا عدا أنهم ليسوا بحاجة لسبب أو مبرر لممارسة هواية التنكيل، ثم قام الجنود بشبحنا إلى السيارة وطلبوا منا خلع ملابسنا وقاموا بتفتيشنا بشكل شخصي وقاموا بالتدقيق بالبطاقات رغم إبرازنا لبطاقات أننا معلمون ومن ثم ألقى جنود النازية الجدد ببطاقاتنا إلى جانب أقدامهم لنركع قريبا من أقدامهم عند التقاطها، في محاولة لإذلالنا.

هذه بعض المواقف الوحشية التي واجهناها ونواجهها بصورة شبه يومية تظهر الوجه الحقيقي القذر للاحتلال ومحاولاته شل حياتنا اليومية.ولا مجال للحصر فالذاكرة تضيق بالكثير من الأحداث اليومية المؤلمة،حيث أصبحت رحلة الذهاب للمدرسة والعودة منها هماً يوميا .

جلال خميس حسن طحينة
مدرسة كفر ثلث الثانوية
2002/5/20

وكأنه حلم

في ليلة 2001/10/19 وحوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل قام جيش الاحتلال الصهيوني بالاقتراب من البيت، وحدث أن سمعنا صوت نعالهم ولكن لم نتأكد بأنهم جيش الاحتلال، حسبناهم جنود السلطة الذين يحرسون الحي.

في تلك الليلة كنا في منزل أهلي الملاصق، وابنتاي نائمتان في البيت، وعندما استيقظتا وأرادتا القدوم، توجهت نحو الباب عندها سمعت صوت الجنود، وسمعت ابنتي تقول بأن هذا الجيش الإسرائيلي .

وصلوا الباب وصاحوا:

«قف عندك».

والتجأت إلى غرفة النوم في بيت أهلي حيث الجميع هناك، وأصبحنا في مأزق لأن دخول الجنود كان بشعا، وكنا نتوقع بأنهم مستوطنين يريدون قتلنا فبقينا خلف الباب الخشبي بعد اقتحامهم للبيت، وقمنا جميعا وبصوت واحد بالتكبير مع دفع الباب الخشبي، وأخذوا بطرق الباب بالأحذية والبنادق ونحن ندفع بأيدينا ونكبر. وأحدثوا فتحة في الباب الخشبي، وكانت هذه بداية الحلم،نعم هذا هو ما شعرت به من الأحداث.

قام أبى بحمل ماسورة ماء وضرب بها أحد الجنود عندما دخل الغرفة وبدأ الجنود بضربنا جميعا ضربا وحشيا وتم أخذي مع اخوتي وأبي من قبل الجنود، وحدث معي شيء لا يصدق بل هو الحلم الحقيقي، فبعد أن تم أخذي من الغرفة، قام أحد الجنود بجري بوحشية، وبقي يجرني حتى مر بي عن خشب الباب الموضوع على الأرض، فجرحت عيني، بعدها سحبوني جرا إلى صالون البيت،وهناك سلموني لمجموعة أخرى من الجنود وتمددت على الأرض كالدجاجة الذبيحة حتى أوشكت على الهلاك (قريبا من الإغماء) ولكن الله سلم.

وبقيت مرميا على الأرض وشعرت بعدها بكلب يلف حولي،وعلمت لاحقا أن ذلك لم يكن مجرد شعور، بل إن كلبا حقيقيا كان يلف حولي (كلب أحضره الجنود) وأخذ الجنود بإعطائي الأكسجين حتى صحوت، ومن ثم سألوني عن اسمي، وبقي الجنود يفتشون البيت ويقلبون الأشياء ويدمرون المحتويات،وأنا على الأرض مقيد اليدين ومعصوب العينين، بقي هذا الحال قرابة الساعة وأنا لا أعلم ما يدور حولي، وماذا حصل لإخوتي وأبي إلا بعد أن عدت إلى البيت حيث علمت أنهم فعلوا نفس الشيء بهم،

وانتهوا من عملية اقتحام البيت ما يقارب الساعة الثالثة صباحا، فأخذوني إلى الخارج وكنت البس حذاء ولكن عندما أردت الصعود إلى المدرعة سقط الحذاء من رجلي. وبدأت جولة أخرى من العذاب والمعاناة.

في البداية لم أعرف أنها مدرعة ولكن عندما جعلوني أحني رأسي للدخول، ومع صوت جنزيرها القوي عرفت أنهم وضعوني في المدرعة، لم أكن أرى شيئا من العصبة الموضوعة على عيوني، وهنا بدأ التعذيب وكان اخوتي مقابلي وأنا لا ادري، وبقيت أصرخ من الألم جرّاء القيد البلاستيكي الملفوف علي يدي وبدل أن يخففوا تركيز القيد، زادوا التشديد والضرب حيث كانوا يركزون ضربهم على يدي ورجلي، وكلما صرخت من الألم كلما زادوا من ضربهم، بعدها توقفت عن الصراخ مع كل الألم الذي كان بداخلي، وبقيت على هذا الحال ضرب وشتائم وكلمات بذيئة جدا حتى وصلنا إلى منطقة ما، شعرت بأنها بعيدة جدا هناك أنزلونا في معسكر للجيش ولم أكن أعلم أين أنا إلى بعد حين، حيث علمت أننا في قلقيلية في الحاجز الشمالي على بعد كيلومتر تقريبا من المعسكر.

هناك أجلسوني على الأرض حيث الحجارة الصغيرة تجعل من الجلوس عذاب لا نهاية له ،وبقيت على هذا الحال يداي مقيدتان وعيناي معصوبتان، أتوقع أن يطلقوا علي الرصاص في كل لحظة.

كل شيء حولي كان عبارة عن جحيم من العذاب النفسي، سيارات الجيب التي تمر بجانبي يخال لي

أنها ستدوسني، كذلك صوت طائرات الأباتشي، هذا عدا الجو البارد جدا الذي يجعل الجسم أقرب إلى التيبس خصوصا مع وضع الأيدي المقيدة،وأنا شبه عاري، كانت أسناني تصطك من شدة البرد،وبعد أن فكوا القيد البلاستيكي كانت يداي منتفختان، طلبت منهم شيئا أتغطى به، وبعد فترة من الزمن جاءوا لي بحرام ووضعوه على جسمي وأحضروا الماء فشربت قليلا .

وبعد ما يقارب الساعة أتى جنديان وأخذاني ومشيت معهما حتى وصلت إلى أسفل الجبل بالقرب من المعسكر (الحاجز الشمالي) فخلع الغمام عن عيني ونظرت حولي فوجدت أخي موسى الصغير إلى جانبي، وهناك أطلقوا سراحنا، وكانت المعاناة الأخرى أنهم قاموا بكسر نظارتي لذا لم أستطع أن أرى جيدا ولكن وجود أخي ساعدني، وعندما حاولنا التقدم قليلا وجدنا دبابة ترجع وهي تطلق النار فهربنا إلى الوراء بين المزروعات .

وصلنا إلى أول بيت حيث ألبسوني دشداش وأوصلوني إلى المشفى وأسعفوني والحمد لله (وطوال فترة وجودي في المعسكر كنت أقول في نفسي لو أن الجيش يرفعون الغمام عن عيني حتى أصحو من نومي) لم يخطر ببالي أن هذا هو الحلم الحقيقي.

حسن عبد الرحيم حسن نزال
مدرسة المرابطين / قلقيلية

هموم غير عادية

(1)

وما زالت في نفوسنا ذكرى يوم ماطر، هذه الذكرى المؤلمة نعيشها ونحيا ارتعاشاتها وآلامها وقهرها، فهي توقظ في أعماقنا المشاعر الحزينة، يومها أحسسنا أننا نودع الحياة، كان ذلك حين انطلقت بنا السيارة من مدرسة بنات عانين الثانوية بعد يوم دراسي منهك، كانت السيارة مسرعة عندما رنّ الهاتف النقال ليخبرونا بأن الدبابات الإسرائيلية تحاصر مدينة جنين عند «بئر السعادة»، ولا تسمح لأحد بالمرور، راودنا إحساس بالخوف ،لكن الإصرار على دخول جنين كان ملازما لنا أيضا، ففي جنين بيتنا، وأبناؤنا وعائلاتنا .

ويا لهول المفاجأة فقبل جنين بحوالي 3 كم وعند مدخل قرية كفرذان كانت طوابير السيارات تقف دون حراك، ومئات الناس كانوا يتهامسون بحثا عن حل وبعضهم كان يصرخ معبرا عن غضبه، هناك وجدنا معلمات اليامون، وسيلة الحارثية، وكفرذان، وجميعهن يردن العودة إلى بيوتهن في مدينة جنين ، كنا ست معلمات انضممن للبقية وقررنا محاولة الدخول لمدينة جنين

انطلقت بنا السيارة، وقبل «بئر السعادة » ـ حيث قيل أن الدبابات ترابط ـ ترجلنا نصارع الخوف ، مئات الأمتار فقط وإذا بجندي يصرخ طالبا منا العودة، وأطلق النار بكثافة، عدنا أدراجنا ركضا لا نلوي على شيء ، وإذا بالدبابة تتبعنا مسرعة وهي تطلق النار، تجمد الدم في عروقنا، فالرصاص كان منهمرا كأنه مطر، وفي كل لحظة يخطر ببالنا أن هذا الرصاص سيخترق أجسادنا ويضع حدا لحياتنا هذه ، وبقينا نركض حتى ابتعدنا عن الشارع الرئيس وصعدنا طريقا وعريا يصعب السير فيه، وهناك انتظرنا طويلا ،كان التاريخ 2002/2/11 شباط حيث المطر والوحل والبرد، وبعد طول انتظار لم يكن هناك حل سوى إكمال المشوار عبر الجبال الوعرة ،فالدخول من الشارع الرئيس مستقلين سيارة كان حلما، ولهذا أكملنا طريقنا إلى مدينة جنين من الجبال، ومع ذلك تعرضنا لإطلاق النار أكثر من مرة، ولم نصدق أنفسنا عندما وصلنا بيوتنا ،كنا مرهقات، مبتلات من المطر، والوحل حدث ولا حرج.

ها نحن من غور يأسنا وحزننا نحاول تسطير ألمنا وذكرياتنا مع شبح الدبابات، وشبح الموت، ومع ذلك سنستمر في هذه الحياة، حياة تناسق فيها النغم والإصرار مع الموت، لن يهرب الضياء، بل سيدك أعمدة الضباب، لنرمي بآخر صفحة من صفحات الدمع الحزين.

(2)

مع إشراقة الشمس يطلع علينا فجر جديد لنستقبله بطقوس المكالمات الهاتفية التي تخبرنا عن حال الطرق، فلقد صدقت المقولة «يسمح بالمرور كل الأيام أما اليوم فلا »، ولا تتغير المقولة،ويبقى المرور ممنوعا طوال الأسبوع.

ففي صباح يوم الأربعاء 2002/5/15 تلقيت مكالمة هاتفية تفيد بأن الطريق مغلق بحاجز عسكري عند مفرق الطيبة على طريق عانين،وبعد وصولنا إلى تعنك واصلنا السير بالسيارة حتى وصلنا إلى حاجز الجيش فأبرزنا بطاقة الموظف فسخر منا الجندي وقال لنا:

«أنا بعرف إنكن معلمات لكن لن أسمح لكنّ بالمرور». وأضاف بصوت عال وصراخ محموم: «ارجع».

وصوب بندقيته باتجاهنا، فرجعنا ونحن نرتجف حتى وصلنا مقبرة تعنك، وهناك تلقينا اتصالا هاتفيا من التربية والتعليم، طلبوا منا الانتظار نصف ساعةلعمل تنسيق لمرورنا، فانتظرنا دون جدوى، ثم رجعنا إلى مدينة جنين .

كنا في منتصف الطريق على مدخل سيلة الحارثية وإذا بمديرية التربية والتعليم تخبرنا بأنهم نسّقوا مع الارتباط المدني لكي يسمحوا لنا بالمرور،فرجعنا حتى وصلنا إلى مقبرة تعنك وهناك توقفنا ننتظر الحل وفي أثناء انتظارنا وإذا بسيارتين لحرس الحدود قادمتان نحونا فتوقفت عندنا وجرى بيننا هذا الحوار.

- ليش انتو واقفين هون؟
- نحن ننتظر مكالمة من التربية لأنها تنسق مع الارتباط حتى تسمحوا لنا بالمرور.
- شو تربية يعني (قالها باستهزاء وسخرية)؟
- إحنا معلمات والتربية مسؤولة عنا.
- ليش انتو مين منعكم؟ امرقوا...

(وقال عدة كلمات نابية يخجل حتى القلم من كتابتها).

- انتو يلي رجعتونا.
- (باستهزاء) إحنا مرجّعناش أحد الله وعلي معكم.... امرقوا.
- مش تمرقونا وتخلونا في عانين.
- إنشاء الله تناموا في بيوتكم.

فانطلقت بنا السيارة مسرعة ونحن فرحات لأن الجنود قد ذهبوا ولكن يا لها من مفاجأة سيئة عندما اقتربنا من مفرق الطيبة وإذا بالحاجز العسكري موجود ولا يسمح لأحد بالمرور وأمرنا بالرجوع بعد إطلاق نار كثيف علينا،كان الرصاص منهمرا كالمطر، وكان الجنود يصوبون أسلحتهم في كل الاتجاهات، عدنا أدراجنا تلفنا غيمه من التعب والحزن والشقاء بينما كانت عقارب الساعة تشير للثانية والنصف بعد الظهر.

فدوى الخطيب/ ميّسر أبو غالي/ وفاء سنان/ نسيبه قاسم/ هتاف العرج / أماني حسن
مكان السكن: جنين
مكان العمل: مدرسة عانين للبنات

إشتقنا يا قدس

قبل عام 1990 كنا نذهب إلى مدينة القدس بشكل حر تقريبا رغم بعض الحواجز الإسرائيلية التي كانت تكون موجودة على أبوابها في الشمال و الجنوب ...

كان سحر هذه المدينة الجميلة الرائعة بكل المعاني يجذبني يوميا و يجذب العشرات بل المئات من أبناء الشعب الفلسطيني.

ابتدأت عملي في القدس معلما في إحدى مدارسها التي كانت رمزا لتأكيد فلسطينيتها وواصلت العمل في هذه المدارس حتى وقت قريب ...

و مع بداية التحالف الدولي ضد العراق بدأ ما يسمى بالإغلاق على مدينة القدس ثم تحوّل الإغلاق إلى ما يسمى بالطوق ثم أضيفت تدريجيا كلمة «الطوق الأمني» و الخ من المسميات و بدأنا نعاني الأمرين للوصول إلى مدينة القدس ... و تحولت حياتنا إلى جحيم يومي .. و تحول الجحيم تدريجيا إلى واد النار و إلى الطريق البديلة .. و رغم ذلك ناضلنا كمعلمين و بشكل يومي أمام الحواجز الإسرائيلية و رفعنا صوتنا ضد سياسة الإغلاق الإسرائيلية بحق هذه المدينة التي تحاصر بغير حق، و تغلق أمامنا بشكل غير قانوني و غير إنساني ...

و أعاق الإغلاق كل مناحي الحياة في القدس، وتحولت القدس إلى مدينة مغلقة و محاصرة و مقهورة ....

و كلما زاد الإغلاق و الحصار ضراوة كلما زدنا عشقا لهذه المدينة ..و كلما زدنا حبا للقدس زاد اشتياقنا لان نرى هذه المدينة و قد تحررت من الاحتلال البغيض.

و في هذه الأيام يزداد الحديث عن حواجز و أسوار داخل المدينة و يا للأسف و يا ليتهم يعلمون بأن كل هذه الأسوار و كل هذه الأطواق لن تستطيع أن تحجب شمس الحقيقة عن القدس و لن تستطيع أن تمنع أرواحنا من أن تحلق في سماء القدس في كل جزء منها، و لن تستطيع أن تبعد القلب عن الجسد الفلسطيني الذي لا يمكن له أن يحيا دون القدس.

و أنا اعتقد جازما بأن كل يوم تحاصر فيه هذه المدينة المقدسة و يُمنع المؤمنون من الصلاة في مساجدها و كنائسها كلما اقترب يوم القدس الذي يعيد لهذه المدينة مجدها و تنعم فيه بالسلام و الحرية و الكرامة.

و في كل صباح نحن ننتظر يوم القدس و عيوننا تتجه إلى المدينة الرائعة و التي يرسمها الأطفال في كل لوحاتهم الجميلة و تكبر معهم في كل أحلامهم.

و كيف لنا أن ننسى هذه المدينة الرائعة بشوارعها و أزقتها و قبابها و بيوتها القديمة و أسوارها و كنائسها و أبواب أسوارها ...

كيف يمكن أن تغيب هذه المدينة عن عيوننا التي تتجه إليها مع فجر كل صباح و مع إشراقة شمس كل يوم و مع كل نبضة قلب نتذكر القدس ...و لن تستطع دبابات الاحتلال و لا طائراته أن تقهر فينا حبنا للقدس فنحن نعشق القدس أكثر من أرواحنا فهي عاصمة الروح و القلب،.

و هل هناك أجمل من مدينة القدس وهل هناك من مدينة في العالم تتألق في سمائها آفاق المحبة و الإخاء بين أبناء الديانات السماوية ... إنها القدس فمن الصعب وصف السكينة و الشعور بالاطمئنان و السعادة التي يشعر بها من حالفهم الحظ و سكنوا داخل أسوارها و جاوروا مسجدها فهي المدينة التي يستلهم منها الفنانون خطوطهم و أشكالهم، وهي آية من الروعة و الجمال وهي مميزة من حيث جمالها و عراقتها و تاريخها ...

ولو أن رساما أو مصورا بقي عشر سنوات يرسم هذه المدينة الرائعة لوجد كل يوم وكل ساعة و كل دقيقة أشياء جميلة من هذه المدينة يرسمها أو يصورها.

القدس: مدينة المحبة و السلام و الإخاء و الصفاء.

القدس: الزهرة التي يفوح منها عطر و أريج المحبة.

القدس: عروس المدن و أجملها و أبهجها.

القدس:مدينة تعشق فيها كل شيء حتى حجارتها، شوارعها، أزقتها، أبوابها ..قبابها ، أسوارها هوائها ...مآذنها ...أجراس كنائسها.

القدس: رمز نضالنا و أساس حريتنا.

القدس: رمز و حدتنا و أساس و جودنا.

القدس:«جوهرة » وجوهرة القضية

و بدون القدس لا مستقبل لنا

و بدون القدس لا سلام لنا

فمنها الحياة و المستقبل و الحرية و السلام

سميح أو زاكية
كلية الأمة – القدس

صور واقعية لمعاناة معلم

(1)

لا أذكر اليوم تحديدا، لكنه في شهر تشرين الثاني من عام 2001، كانت الساعة الثامنة مساء،وكنت وصديقي ـ الذي ركن سيارته في سردا ـ عائدان من رام الله إلى سلواد عندما أوقفنا جنود الاحتلال في قرية دورا القرع، (وعادة ما كانوا يضعون حاجزا هناك) كان الجنود يدققون في السيارات التي يكون ركابها شبابا وبالذات في الليل، هوس ينخر عظامهم و يسري فيهم كالسل، ويقض مضجعهم ويقطع تفكيرهم إلا من الإسراع في إطلاق النار على من يتشككون به أو حتى لا يعجبهم.

طلبوا منا البطاقات الشخصية فكان لهم ذلك . أخذوا يدققون في البطاقات، ويطرحون الأسئلة كالعادة:

«من أين أنتم ؟ و من أين جئتم ؟ ماذا تعملون ؟»،

فقلت:

«أنا معلم»،

وثار أحد الجنود، و طلب مني النزول من السيارة والوقوف جانبا،بينما أخذ جنديان آخران يفتشان السيارة واقترب مني الثالث، وطلب مني الاستدارة ففعلت.

«ارفع يديك ... أخرج ما في جيوبك».

كنت كالطالب المطيع، بقيت أنفذ ما يطلب مني حتى فاجأني بطلبه:

«إخلع بنطالك»،

تظاهرت عندها أني لم أفهم .. فأعاد الطلب، رفضته، قلت له:

«ها أنا ذا فتشني كيف يحلو لك، لكن لن أخلع ثيابي».

أخذ يصرخ، وكنت بصراخه غير آبه، ثم قال:إنه آت بعد قليل، وعلي أن أنفذ ما أمر قبل أن يأتي، يبدو أنه أخذ البطاقات الشخصية ليخابر عليها عساهم وجدوا مطلوبين.

دقائق وعاد ذلك الجندي الذي تسبب له كلمة معلم، حساسية من نوع ما، و أخذ يدقق في الأوراق التي لدي ...هذه بطاقة مكتبة ...هذا شيك دون رصيد ...هذه بطاقة من جريدة الحياة ..هذا برنامج الدروس الأسبوعي، استوقفه هذا الأخير ، ربما له علاقة بمهنة المعلم، أخذ يدقق في برنامج الحصص، يقرأ ما عليه و أكثر ما لفت انتباهه خارطة فلسطين الملفوفة بالعلم مما أثار غضبه، و كأنه وجد في جيبي قنبلة.

وأخرج من جيبه برنامج أحد الطلاب في جامعة بيرزيت و لسوء الحظ كان برنامج نشاطات الكتلة الإسلامية،ومما زاد الطين بلة وجود صورتين عليه إحداها ليحي عياش والأخرى لم أعرفها . طلب مني الجندي أن أقرأ ما عليه، فقلت:

«جامعة بيرزيت/ الكتلة الإسلامية»،

ثم سألني الجندي:

«من هذا ؟»،

أنكرت معرفة صاحب الصورة التي هي ليحيى عياش، مما أثار غضبه قائلا:

«لا تعرفه؟ أنه يحي عياش المهندس ؟ ألا تعرف كيف قتل؟ البلفون انفجر فطار رأسه»، وحدثني

قصصا غيرها بالتفصيل بدا وكأنه يعرف التفصيلات الدقيقة ثم صرخ:

«ألم تعرف يحي عياش، أنت معلم مخرب» .

فقارن بين جدول الدروس الذي لدي و البرنامج الجامعي الذي لديه .. » أنت معلم مخرب و أعادها أكثر من مرة.

ثم أخذ يصرخ:

«ماذا تدّرسون الكلاب؟ عياش، أبوعمار .. الحجارة، التنظيم، حماس ..».

وهو يصرخ و أنا أنظر إلى عينيه فشعرت ساعتها أن نارا تكاد تخرج منهما.

في هذه اللحظات سمعت صوت رنين البفلون خاصتي الذي كان الجندي قد أخذه ووضعه فوق السيارة فحاولت الرد عليه ... لكنه رفض و أصر على رفضه، في هذه الأثناء كان الجنديان الآخران قد انتهيا من تفتيش السيارة، مع الساعة الحادية عشرة مساء، طوال هذه الساعات لم يعطني سببا لما يفعلون، إلا لأنني معلم ... و بعدها بدقائق أمرني بالانصراف،ففعلت.

(2)

من قريتي سلواد إلى عين يبرود حيث المدرسة التي أعمل فيها . تقطع الطريق مستوطنة عوفرا، ومقابل هذه المستوطنة يوجد نقطة مراقبة للجنود لحماية المستوطنين ولقطع الطريق وقت الحاجة بالسرعة القصوى، وكالعادة كنت وزميل آخر يدرّس في المدرسة ذاتها، وأحيانا عدد من طلاب سلواد الذين يدرسون في عين يبرود نذهب مشيا عبر التلة أمام أنظار الجنود لأن المرور من الشارع الرئيس ممنوع ومحرّم، لذا كنا نقطع التلة عبر الشوك والحجارة و الصخور، ناهيك عن المخاطرة لأن هذه التلة محصورة بين الشارع الالتفافي ومعسكر الجيش، وفي أحد أيام الشتاء الباردة حان موعد العودة إلى البيت، كانت السماء ملبدة بالغيوم السوداء كان لا بد من العودة للبيت،وكان لا بد من اجتياز التلة،كنا نسير يوميا أربعة كيلومترات ذهابا ومثلها إيابا،ولم يكن ذلك يقلقني،لكن قلقي في ذلك اليوم كان عظيما،ذلك أن المعلم الذي كان يرافقني في ذلك اليوم يعاني مشاكل في القلب هذا بالإضافة إلى أن عمره يزيد عن 45 عاما.

وأذكر أنه رافقني في مرة سابقة وأثناء اجتيازنا للتلة انهالت الأمطار من السماء، و كلما مشينا خطوة نشعر أن غزارة الأمطار تزداد وإذا بها تتحول إلى حبات برد من نوع كبير لتحدد لها معالم في وجوهنا،

و يزداد قلقي كلما نظرت إلى رفيقي فنظارته لم تعد تصلح لأن تكون على العينين، فاضطر إلى نزعها، و بالتالي تباطأت خطواته لضعف البصر و لثقل المطر، و تخوفي مما لديه من مشاكل في القلب أكثر من مراقبتي له، و تركت لنفسي أن أسير أمامه لأستكشف له الطريق، وشعرت عندها أن المعلم بحاجة إلى راحة فقد خارت قواه و ارتبطت قدماه في الأرض و تسارعت أنفاسه و أخذ يتحسس الطريق كأنه ضرير.

ارتحنا قليلا و الأمطار فوق رؤوسنا، و الجنود يراقبوننا من المعسكر لم نعد نأبه بهم، فرصاص السماء غيّب من أذهاننا رصاص الاحتلال، واستأنفنا المسير ... وعندما وصلنا أول الشارع تنفست الصعداء و حمدت الله أن العاقبة لم تكن أسوأ مما كنا فيه.

رائد حامد السلوادي
مدرسة ذكور عين يبرود الثانوية

إلى متى

يتعرض المعلمون والمعلمات والطلبة منذ بداية هذه الانتفاضة إلى أشد أنواع العذاب، وأقسى أشكال المعاناة بسبب الممارسات التعسفية لقوات الاحتلال في جميع المدارس تقريبا. ومدرسة عابا الأساسية ليست بمعزل عن هذه المعاناة، طلابا ومعلمين.

فمنذ شهور تم منع المعلمين والطلاب من الوصول إلى المدرسة في حافلات مما اضطرهم للمشي وقطع الشارع الالتفافي للوصول للمدرسة بما يحمل ذلك من مخاطرة حقيقية، حيث تمر على هذا الشارع سيارات الجيش والمستوطنين.

وفي الطريق إلى المدرسة يجتاز المعلمون والطلاب ما يقرب من ستة حواجز، ترابية وإسمنتية، مما يزيد من صعوبة الطريق، ولكم أن تتخيلوا ما يحدث في فصل الشتاء، حيث يلتصق الوحل بالأحذية والملابس في الذهاب والإياب.

وقبل هذا الوصول بشكله البشع، يقوم جنود الاحتلال المتواجدين بشكل شبه يومي على طريق المدرسة، بممارسات تنكيلية، تعسفية، هدفها الإذلال، وكسر الروح المعنوية حيث يطلب منهم وعند اقترابهم من الحاجز الكشف عن البطن والظهر، ويتم تفتيش حقائب الطلاب،والتدقيق في هويات المعلمين،

وهذا قد يستغرق ساعات مما يعني الوقوف تحت الشمس صيفا، وتحت المطر شتاء، وفي أحيان كثيرة يتم إعادة المعلمين وعدم السماح لهم بالمرور مصحوبين بعبارات الشتم والتهديد.

وفي عدة حالات خلال هذا العام الدراسي، اقتحم الجنود المدرسة وطلبوا مني إخراج الطلاب وتعطيل الدوام، دون أسباب تذكر، وعندما كان يتم منع المعلمين والطلبة من العودة إلى بيوتهم من الطريق الرئيسة، كانت المدرسة تضطر إلى استئجار حافلات لنقل طلبة حي الألمانية وعابا الغربية، عبر طريق دير أبو ضعيف ــ جلقموس ــ الزبابدة ــ مسلية ــ قباطية ــ جنين.

هذا بعض ما نعانيه في مدرسة عابا الأساسية، وهو جزء بسيط من واقع أليم لا بد وأنه يترك آثاره الجمة على نفسية الطلاب والمعلمين ،وعلى تحصيل الطلبة الأكاديمي ،وقدرة المعلمين على العطاء،لكنه الإصرار على حمل مشاعل التعليم ورسالة التربية، في ظل مساع صهيونية تستهدف التجهيل، وكسر الصمود والإرادة لكل الفلسطينيين

عمار البزور
مدير مدرسة عابا الأساسية
جنين

سنجيا

مع إشراقة كل فجر أصحو وأهيئ نفسي للذهاب إلى مدرستي، في محاولة لإيصال تلك الرسالة المقدسة التي حملها المعلمون والمعلمات خاصة، برسالتنا تجاه الوطن في بناء الأجيال، وإعدادهم لأدواتهم القيادية.

وتأتي الحافلة وأصعد مع الزميلات والزملاء نقطع الدروب نحو المجهول وكل في ذهنه سؤالا واحدا، ترى هل سنتمكن من الوصول اليوم؟ وما الذي ينتظرنا في الطريق؟؟ ورغم كل المخاوف كان الإصرار يدفعنا على مواصلة أداء الأمانة التي كلفنا بها.

ويستمر التساؤل في الأذهان مصحوبا بأسئلة أخرى كثيرة إلى أن تصل الحافلة إلى النقطة العسكرية، وتقف تنتظر السماح لها بالدخول، وبعد الانتظار الطويل، يأتي جندي ويقول لنا غير مسموح لكم المرور، هذا إذا كان مزاجه هادئا، ولكن في كثير من الأحيان كانت بنادقهم هي التي تحمل الرد وتأخذ بإطلاق النار العشوائي مما يحملنا على التراجع والبحث عن طريق بديل يوصلنا إلى مدارسنا، وأخيرا نجد الطريق، ولكن أي طريق، إنه طريق مليء بالوحل والحواجز الترابية، فالجو ماطر والأرض مشبعة بالمياه، ومع هذا نتحدى كل الصعاب، ونأخذ في قطع الطريق، نمسك بعضنا ونتساعد في اجتياز الحواجز.

وفي كثير من الأحيان كان بعض الزملاء يضطرون لارتداء الأكياس البلاستيكية ظنا أنها ستحميهم من الغوص في الطين، أو السقوط أرضا، وهذا ما حدث مع الكثيرين منهم ومع غيرهم من الطلاب الذين كانوا يأتون من الجهة الأخرى محاولين الوصول إلى مدارسهم فيصلون في أوقات متأخرة وقد لا يصلون نهائيا.

آه آه ..... وأخيرا انتهى الطريق الموحل واجتزنا الحاجز الترابي لنصل إلى الجهة المقابلة ولكن يا للأسف، لقد تزامن هذا مع مرور دورية الجيش، توقفت على الطريق وأمرت الجميع بالتراجع إلى الخلف لقطع الطريق ثانية ولكن دون الوصول إلى هدفنا وذهب اليوم هباء.

وأطل يوم جديد، وكان كسابقة ولكن هذه المرة يسمح لنا بقطع الحاجز شرط أن نصطف في طابور لفحص بطاقاتنا الشخصية مع ما يأخذه هذا الإجراء من وقت طويل وإذلال ، وضرب لبعض الزملاء خاصة من الشبان.

إن الصعوبة الكبرى التي نواجهها لا تقتصر على اجتياز الطريق، وإنما ما يتبع ذلك من مخاوف، قتل وإذلال، فكم مرة تمت مطاردتنا من قبل الدبابات الإسرائيلية، حتى تظن في لحظة أنك ستقضي تحت جنازيرها، وكم مرة تم إطلاق النار وقنابل الغاز المسيل للدموع على المارة.

ففي إحدى المرات عندما كانت مجموعة من المارة يجتازون الطريق، فوجئوا بدورية عسكرية فتراكضوا مسرعين وعبروا إلا عجوزين فاتهما الدور فتخلفتا عن المجموعة، فجاء أحد جنود الاحتلال وأمرهما بالجلوس على الوحل، ثم أطلق قنبلته الغازية بينهما، أية رحمة وأية إنسانية تلك التي يتمتع بها هؤلاء، إنك لتحتار في وصفهم أهم بشر أم أنهم وحوش لا يعرفون إلا شريعة الغاب ترى ماذا يحملون بين أضلعهم قلوبا بشرية؟؟ مع أنها تحجرت عندما فقدت كل معاني الرحمة ؟؟.

منال أحمد أبو فرحة
مدرسة بنات الجلمة الأساسية
جنين

فتتسمع كل الدنيا

سوف أبدأ بالمعاناة التي أواجهها في المدرسة بسبب الاحتلال وممارسته، ففي ذات يوم وصل جيب إسرائيلي إلى باب المدرسة وكان ذلك أثناء الاستراحة، ولا تتخيلون كم كان مقدار الخوف والرعب من الطالبات، فكان همي الأول أن أهدأ من روع الطالبات لما رأيت ردة فعلهن ومقدار الخوف المرتسم على وجوههن،وبقي الحال هكذا حتى ذهب الجيب.

نعاني كثيرا في المدرسة، خاصة عندما أرى المعلمات أنفسهن ومجموعة منهن بالذات عندما نسمع أن هناك سيارات عسكرية أو دبابات تقطع الطريق حيث أن وجودها أصبح شبه دائم منذ فترة طويلة، وقد اضطر أحيانا إلى اتخاذ قرار بإخلاء الجميع (المعلمات والطالبات) عندما أرى عدم مقدرتهن على مواصلة الحصص التدريسية،وعدم قدرة الطالبات على الاستيعاب.

أكبر معاناة نواجهها هي عدم قدرتنا على إعطاء المناهج بسبب ضيق الوقت وانقطاع التدريس الذي نمر به بسبب الحواجز العسكرية من دبابات وجيبات، وحصار لمدينة جنين مما يمنعنا من الوصول للمدرسة، أو يعطل الدراسة لمدة طويلة.

في إحدى المرات وخلال الطريق في قرية تعنك، وصلنا إلى نقطة تتواجد فيها جيبات عسكرية، أوقفوا

السيارة التي نستقلها، وبدأ الجندي بالحديث مع السائق لدينا باللغة العبرية، ونحن في السيارة فتح باب الجيب الإسرائيلي وبدأ يضرب سيارتنا به عدة مرات ثم أخرج قنبلة «عرفنا ذلك من طريقة إمساكه بها» حيث أنه كان يهددنا بأن يفتح صمام القنبلة ويلقي بها داخل السيارة، البعض من المعلمات خفن بشكل كبير جدا لدرجة إنني خفت على إحداهن وبدأنا الحديث معها للتهدئة من روعها، ولم تستطع في اليوم التالي الدوام لشدة خوفها مما حصل في اليوم السابق.

مرة أخرى وصلنا إلى نقطة فيها دبابات على جانبي الطريق، أوقفونا مدة طويلة أرجعونا أكثر من مرة، وعندما وجودنا لا نريد الابتعاد خاصة بعد أن اتصلنا بمديرية التربية والتعليم وأخذوا رقم السيارة واسم السائق وقالوا لنا بأنه تم التنسيق وأنهم سيسمحون لنا بالمرور للوصول إلى المدرسة، إلا أن ذلك لم يحدث، بل على العكس من ذلك، بدأ أحدهم وبغضب بإطلاق النار لإخافتنا وإرجاعنا.

في مرات متعددة كثيرة ،أوقفونا وأجلسونا تحت الأشجار، ومنعونا حتى من الكلام أو غيره وذلك لمدة طويلة، وهذا يحدث إما أثناء الذهاب للمدرسة أو خلال العودة إلى مدينة جنين، وهذا يعني التأخر في الوصول للمدرسة، أو للبيت، وأذكر أنه في إحدى المرات وأثناء الدوام المدرسي ،سمعنا بأن الدبابات الإسرائيلية حاصرت جنين، فركبنا سيارة وذهبنا حتى وصلنا حرش السعادة حيث كانت تتواجد الدبابات. لم يسمحوا لنا بالمرور للوصول إلى منازلنا فذهبنا بطريق أخرى عن طريق قرى كفرذان وبرقين، إلا أننا لم نستطع المرور لأنهم أغلقوا الطريق بالدبابات وكل من يقترب تطلق عليه النار، ثم جربنا السير على الأقدام، فقيل لنا بأن الطريق فتحت، وكنا في طريق جبلية من برقين إلى جنين، لم نستطع السير، فرجعنا مرة أخرى إلى طريق حرش السعادة فوجدناهم قد أغلقوا الطريق مرة أخرى، وركبنا سيارة سلكت بنا من طريق ترابية زراعية في سهل مرج بن عامر، والطريق منزلقة بسبب الأمطار،كنا ننزل أحيانا من السيارة لجرها واستمر بنا الحال هذا ساعات حتى نقطع الطريق إلى جنين عن طريق ضاحية صباح الخير والوصول إلى منازلنا، ووصلنا الساعة الرابعة بعد الظهر تقريبا في حالة يرثى لها من التعب والأوساخ والوحل الذي علق بنا من الطريق الموحلة .

وفي إحدى المرات اضطررنا أن نسلك طريق قرى برقين، قباطية، السيلة، الزبابدة، ووصلنا من منطقة السويطات «في طريق عودتنا إلى جنين» وكانت هناك دبابة، اضطررنا لتحاشيها فسلكنا طريقا اتضح لنا فيما بعد أنها طريق مستوطنة يهودية، عدنا بعدها واضطررنا للمرور من جانب الدبابة وسط الخوف ،وصلنا أيضا في وقت متأخر وفي حالة يرثى لها من التعب والأوساخ.

كنت أذهب للمدرسة في سيارات الأجرة مع العمال كي أصل المدرسة باكرا، وبعد اجتياح جنين ومخيمها ولما رأيت منهم في فترة الاجتياح من تهديد لنا في عرضنا وكرامتنا أصبحت أخاف من الذهاب إلى المدرسة وحدي وصرت آتي مع مجموعة المعلمات. قد نصل أحيانا متأخرات، وقد لا نتمكن من الوصول أحيانا أخرى ،لكنها المسيرة التعليمية التي يجب أن تستمر بجهود الجميع، رغم المعاناة والألم.

مديرة مدرسة بنات عانين الثانوية
عايدة أحمد محمود يوسف
جنين
2002/5/30

حواجز للعذاب

كم من بطش وإرهاب وتعسف من ذلك المحتل اللئيم على هذا الحاجز السيء الذي لم أسمع بحاجز أسوء منه .....يوميا في كل صباح ومساء ،مطاردة من قبل الدبابات لأية سيارة تقترب منه ..... كم من مرة لاحقتنا الدبابات خلال السهول تريد إرهابنا وذلنا ،ولو كان هدفها الوصول إلينا لاستطاعت ذلك وبسهولة ،لكنها المطاردة الوهمية بهدف إثارة الرعب في النفوس، وتتركنا بعد حوالي ساعة، بعد أن نكون قد ابتعدنا عن الشارع الرئيس لنعود ثانية عندما تبتعد.

وهناك حل آخر وهو المرور أو بشكل أدق التسلق عبر طريق «السويطات» الوعرة، من خلال أشجار الزيتون وكروم العنب الملقاة على الأرض، بعد أن قامت جرافات الاحتلال بقلعها وفي هذا عذاب آخر ،رؤية هذه الأشجار تعتصر النفس حزنا وألما.

وطريق «قباطية» خيار آخر ،تحتاج لأكثر من ساعة ،ونمر من خمس قرى على طول الطريق، لنصل منهكين، تعبين، بسبب سوء الطريق وبعدها .... وتخيلوا كيف ستكون النفسية التي ستقوم بتعليم الطلبة بعد هذه المعاناة الصباحية ؟؟!!.

وأذكر من بين الأيام الكثيرة لهذه الرحلة اليومية، يوما مرت سيارتنا فيه عن حاجز العذاب «حاجز عابا»،

كنا ومجموعة كبيرة من الطلاب ،كان اليوم 2002/2/10، فما كان من الجنود إلا أن سمحوا للطلاب بالمرور وطلبوا هوياتنا نحن المعلمين والمعلمات، في البداية ظننا أن الأمر مجرد فحص للهويات، ومن ثم سيسمحون لنا بالمرور، لكنهم لم يفعلوا، بل حجزوا الهويات وطلبوا منا الجلوس على الأرض، وكل من حاول الوقوف منا كان يتعرض للصراخ وبقينا على هذا الوضع من السابعة صباحا حتى الساعة التاسعة والنصف ، ليعيدوا لنا الهويات بعد ذلك ويعيدونا رافضين السماح لنا بالمرور، طالبين منا عدم العودة مرة أخرى، عندها عدنا للبحث عن طريق آخر للمرور وتخيلوا متى سنصل للمدرسة ؟؟ في يوم كهذا.

هذا غيض من فيض، مما نتعرض له يوميا على الحواجز المنتشرة في كل مكان الثابتة منها والمتحركة، والذي يترك بداخلنا آثارا نفسية سيئة، ستنعكس حتما على الطلبة وعلى الأداء العام.

نبيلة سوقية
مديرة مدرسة بنات دير أبو ضعيف الأساسية
جنين

البحث عن طريق

وتتوالى المأساة على الشعب الفلسطيني البائس، ويمارس الإحتلال الصهيوني أبشع الأفعال من التعذيب والجرائم، حيث يكون الشعب الفلسطيني الأعزل هدفا لتلك الجرائم . فلم يسلم أي شخص من عنف الاحتلال الصهيوني حتى الأطفال والأمهات، ولا ننسى بذكرنا المعلمين الذين عانوا قسوة وبطش المحتلين الصهاينة، وكذلك نحن المعلمات اللواتي نخرج في الصباح الباكر لكي نقطع تلك المسافات الطويلة لنصل الى مدارسنا في بلدات أخرى.

أنا المعلمة: علا خالد أديب أبو بكر، من سكان بلدة يعبد قضاء جنين أدرّس في بلدة عانين، حيث اضطر للتنقل من يعبد الى مدينة جنين ومن ثم إلى عانين، إنني أواجه صعوبات جمة منها أنني أذهب في سيارة أجرة وقد هلكنا ونحن نبحث عن طريق النجاة (طريق التفافي) طريق تخلو من جيش الاحتلال..طريق تخلو من الحواجز العسكرية ..مع ذلك يصادفوننا و يقفون صفا في وجهننا ويعيدوننا عند مدخل جنين (طريق الجابريات) وقاموا باطلاق الرصاص علينا ... حتى اضطررنا للعودة والبحث عن طريق أخرى بديلة.

ولم يكن هذا لمرة واحدة،بل هو روتين يومي ممل وقاتل،لا مجال لحصره وتعداده،ولكن على سبيل

المثال أذكر عدة مواقف منها:

ذات يوم أجهل تاريخه، كان جيش الاحتلال قد قام بإخراجنا من السيارة وأرغمنا تحت تهديد السلاح على الجلوس على الأرض مع أن الجو كان غائما و باردا والأرض مبللة، بقينا لمدة ساعتين على هذا الوضع، حيث لم يسمحوا لنا بالكلام ولا حتى الهمس مع التهديد بإطلاق النار.

وكذلك في إحدى الأيام الماطرة في شهر شباط 2002، سلكنا طريقا التفافيا طويلا من بين أشجار الزيتون أثناء العودة من مدينة جنين إلى يعبد، ولسوء الحظ فوجئنا بهم عند اقترابنا من الشارع الرئيس القريب من يعبد، حيث سألونا لماذا نسلك هذه الطرق، فأجبناهم بأن الحاجز العسكري لا يسمح لنا بالمرور، فقاموا بثقب إطارات السيارة، وحجزونا لمدة ثلاث ساعات عند الحاجز العسكري المتمركز عند مفرق قرية كيفيريت- يعبد، ومن هناك اضطررت وزميلة لي للعودة الى يعبد سيرا على الأقدام في جو عاصف شديد البرودة، والطريق مليئة بالجيش غير آمنة حيث مر بالقرب منا عشرات السيارات الخاصة بجيش الاحتلال، منها من وقف بمحاذاتنا.

وفي يوم آخر سمته العواصف والامطار، منع جيش الاحتلال سيارتنا من المرور عبر الحاجز العسكري المتمركز على طريق يعبد، حيث قاموا بتهديد السائق بإطلاق النار عليه .. ولم يكن هناك طرق بديلة، حيث كانت جميعها مغلقة، اضطررنا للذهاب الى طريق بالقرب من طولكرم (عن طريق قرية علار) من أجل الذهاب الى جنين ولأن أمامي مواصلات أخرى لتنقلني الى عانين، استغرق ذلك قرابة الساعة والنصف ... و لم يكن هذا لمرة واحدة، بل عدة مرات، كان ذلك أثناء العواصف، حيث لا نستطيع المرور عن طرق ترابية، وإن مررنا عبر تلك الطريق كان لنا حادث آخر وهو تعطّل السيارة بسبب صعوبة تلك الطرق الترابية الوعرة المبللة بالأمطار... مما يعني الانتظار لساعات من أجل اصلاح ذلك العطل أن تسنى لنا ذلك، وتخيلوا متى سأصل المدرسة ،أو البيت .

وهناك مواقف أخرى من بينها أن المستوطنين الغاصبين وقفوا أمام مداخل الطرق الالتفافية وهددا بالسلاح والقوة أي أحد يحاول المرور عبر تلك الطرق .. وهناك مواقف تفتيش باتت يوميا للسيارة و الحقائب من قبل الجيش سواء على حاجز عسكري أو غيره..في انتهاك صارخ للكرامة والخصوصية،وأدنى القيم الانسانية.

أما بخصوص الطرق البديلة التي نسلكها فأطرح بعض الأمثلة لتتصوروا مدى صعوبة الأوضاع وخطورتها :

- يعبد ـ زبدة ـ الخلجان ـ طوره الغربية ـ نزلة زيد ـ العرقة– الهاشمية ـ برقين ـ جنين.

وحيث أن الطرق المؤدية الى تلك القرى هي ترابية وعرة(مع المرور من بعض الأودية الوعرة جدا المعرضة لخطر التزحلق في أيام العواصف مثل واد نايه بالقرب من العرقة).

- يعبد ـ محطة عرابة ـ واد دعوك ـ ماركه ـ قباطية ـ جنين. حيث أن الطريق من يعبد إلى محطة عرابة، طريق ترابية تمر بماحاذاة المعسكر الاسرائيلي (دوثان).

- يعبد ـ باقة الشرقية ـ علار ـ كفرراعي ـ فحمة ـ عرابة ـ واد دعوك ـ ماركة قباطية ـ جنين .

وهذا يعني أن أدفع قسما كبيرا من راتبي الذي أتقاضاه أجرة لتلك المواصلات، هذا عدا عن الإرهاق الجسدي والنفسي، وفي أحيان كثيرة لم تكن تجدي كل المحاولات للوصول الى المدرسة فنعود من منتصف الطريق .

ويستمر المسلسل الدرامي وتكون حياتنا هدفا ومحطة لسخرية الجنود الذين هددوا سيارتنا بالتدمير من قبل دبابة اسرائيلية ونحن بداخلها بالقرب من محطة عرابة وذلك الساعة السادسة والنصف صباحا، بعد أن تعرضنا للتفتيش من قبل حاجز سابق حيث أمر الجيش بعض الأشخاص داخل السيارة والذين لا يحملون هوية موظف، أمرهم بالعودة سيرا على الأقدام إلى يعبد .. .

ومن أحد المواقف التي أتذكرها جيدا والتي لا تغيب من ذاكرتي، موقف احتجازي في عانين أيام حصار جنين ، حين ذهبت من يعبد إلى جنين بعد أن دام الحصار أكثر من 25 يوم عبر طرق ترابية صعبة ، استغرقت قرابة ساعتين، ما زلت أذكر ذلك الطريق بوضوح يعبد – زبدة ـ الخلجان ـ طورة الغربية ـ نزلة زيد ـ الطرم ـ كفيرت ـ برقين ـ كفرذان ـ طريق السهل إلى طريق ضاحية صباح الخير ـ إلى جنين.

وهذه الطرق لم تكن آمنة من دبابات الإحتلال، بعدها أكملت طريقي إلى عانين عبر ضاحية صباح الخير – طريق السهل الى مفرق كفرذان – عانين. وأثناء وجودنا في المدرسة وصلنا خبر إغلاق جميع الطرق المؤدية إلى جنين سواء كانت رئيسة أم التفافية، فركبنا سيارة الى كفرذان من ثم الى برقين وبعدها إلى قباطية من ثم إلى قرية مسلية وبعدها إلى الزبابدة وبعدها طريق الجامعة الأمريكية، من ثم إلى قرية أم التوت من ثم إلى خربة سبعين وبعدها انتهى بنا المطاف إلى السويطات وهو إحدى مداخل جنين.

هناك تركتنا السيارة فأصابنا الخوف والذعر الشديدين حيث لا أحد يسير على الطريق سوانا وهناك دبابات إسرائيلية أخذت تنشر الرعب فينا،وذلك بالسير أمامنا مع إخراج صوت عال ودخان كثيف،

فحاولنا العودة لكن دون جدوى حيث لم نجد سيارة تعيدنا من حيث أتينا ... فسرنا في طريق أخرى ظنا منا أنها توصلنا إلى بر الأمان ولكن كان ذلك طريقا للموت حيث وصلنا إلي مدخل مستوطنة إسرائيلية بالقرب من جنين،فعدنا هاربين وفضلنا السير أمام الدبابات حتى وصلنا إلى جنين .. أما أنا فلم تنتهي رحلتي بعد، فهناك معاناة أخرى تنتظرني أثناء العودة إلى يعبد .. حيث لم أجد سيارة لبلدتي يعبد، فانتظرت حتى جاء بعض الأشخاص الذين يريدون العودة أيضا إلى يعبد .. فطلبنا سيارة تابعة لمكتب تكسي في جنين ليوصلنا إلى يعبد عن طريق شارعها حيفا من ثم السهل لأن منطقة السعادة محتلة من الدبابات ويمنعون أي شخص من المرور،ولمّا كان السهل غارقا بمياه الأمطار وجدنا الكثير من السيارات والشاحنات أمامنا وقد غرقت في الوحل، لم نستطع إكمال المشوار بسبب الوحل مما اضطرنا للخروج من السيارة ودفعها للأمام ،وقينا حتى الغروب وأنا على مدخل جنين و بعدها تابعنا السير عبر الطريق سابقة الذكر من جهة أخرى. في ذلك اليوم اضطررت لدفع أجرة الموصلات80 شيقل في حين أن الطريق الأصلية تحتاج إلى 14 شيقل فقط.

بعد هذا العرض القصير لجملة المعاناة الطويلة التي لا توصف ولا تنتهي،قولوا لي أيعقل أن نتعرض نحن المعلمين والمعلمات لهذه القسوة والعنف والحصار؟؟ وأي أسباب مقنعة يسوقها الإحتلال لتبرير أفعاله ؟؟؟ الدراسة لا تسير بشكل طبيعي،الطلاب يدفعون الثمن، وكذلك طاقم الهيئة التدريسية في جميع المدارس تقريبا، فمن يمارس العنف ؟؟ سؤال يحتاج لإجابة من جميع العالم. حصار شعب كامل، وتجهيل جيل كامل ومعاناة يومية ليس لهذا ما يبرره ، ومحاولة قهر الذات البشرية، ومحاولات تحطيمها، لكنه الحقد وعنف الإحتلال فقط أمام صمت كل العالم.

علا خالد أبو بكر
مدرسة بنات عانين
جنين

רמאללה
رام الله
RAMALLAH